صوت الجيل

العدد 8 من الإصدار الجديد 2022
مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي
تصدرها وزارة الثقافة الأردنية

وزارة الثقافة

2022

• سرديات الشباب ... جلال برجس • الرواية الأردنية بين محليتها والفضاء العربي ... ملف
• يوسف الساخر ... ملتقى الأجيال • الكتابة: التقاط الذي على قارعة الطريق ... رشا ديرية
• لوحات ريفية بعيون بدوية ... دعاء الزيود • "حرثا": دُرَّة حُوران التي يكادُ زيتُها يُضيء..! .. يحيى القيسي

لوحة الفنانة: زينه السلطي/ الأردن

Sawtalgeel
صوت الجيل 8

العدد 8 من الإصدار الجديد 2022
مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي تصدرها وزارة الثقافة الأردنية

رئيس التحرير
جلال برجس

مدير التحرير
محمد سناجلة

سكرتيرة التحرير
فادية نوفل

أعضاء هيئة التحرير
علي شنينات
سوار الصبيحي
زينــة المعاني

المدقق اللغوي
د. أنس الزيود

الإخراج الفني
يوسف الصرايرة

غلاف العدد
لوحة الغلاف للفنان: حفيظ قسيس/ الأردن

المراسلات باسم مدير التحرير المسؤول للمجلة
E-mail: Sawtalgeel.m@culture.gov.jo

المواد المنشورة في هذا العدد تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

يمكن تصفح المجلة على موقع الوزارة
www.culture.gov.jo

العنوان البريدي
الأردن - عمان - ص.ب 6140
الرمز البريدي 11118 عمّان

: للنشر في مجلة صوت الجيل يُرجى مراعاة ما يلي

- تُرسل المواد مطبوعة إلكترونيًا مشفوعة بصورة عن الهوية الشخصية، أو جواز سفر لغير الأردنيين، على العنوان البريدي للمجلة.
- أن يكون الكاتب أردني الجنسية فيما يتعلق بالكتابات الإبداعية، أما الدراسات والنقد فلا يشترط ذلك، على أن تتناول الدراسات كتّاباً أردنيين من فئة الشباب.
- أن يكون المشارك من الشباب ضمن الفئة العمرية (18–35) عاماً.
- تقتصر الكتابة الإبداعية النثرية والشعريه على الشباب المبدعين فقط.
- الدراسات النقدية يمكن للكبار تقديمها بشرط أن تكون متعلقة بإبداعات شبابية، وبالثقافة الشبابية ومؤشراتها.
- أن تقدم المشاركات باللغة العربية الفصحية.
- ألا تتجاوز المادة النصية المقدمة 1200 كلمة.
- تُرسل الصور منفصلة عن المادة النصية في حال وردت في الدراسات النقدية على أن تكون بجودة عالية.
- تحتفظ المجلة بحقها في التصرف بالمواد التي تم نشرها ويشمل الحق في الطباعة الورقية والإلكترونية، ولا يجوز إعادة نشر مواد المجلة دون أذن خطي من هيئة تحرير المجلة.
- يرسل الكاتب اسمه الثلاثي، واسم الشهرة الذي يُعرف به، ورقمه الوطني للكتاب الأردنيين.

صوت الجيل
Sawtalgeel
اربد 2022 العاصمة العربية للثقافة

المحتويات

- عتبة ..... جـــــلال بـــرجـــس 4

البوابة الرقمية

- البوابة الرقمية
  - الأجيال الشابة والقراءة في زمن الهواتف الذكية ووسائل التواصل الإجتماعي ..... محمد سناجلة 7

مصفوفة العدد

- مصفوفة العدد (الرواية الأردنيّة بين محليّتها والفضاء العربيّ)
  - الرواية الأردنيّة .. بين محليّتها والفضاء العربيّ ..... عاصف الخالدي 14
  - الرواية الأردنية جسر يمتدّ لأكثر من ضفّة ..... الدكتورة فاطمة نصير 16
  - تطوّر الرّواية الأردنيّة وصلتها بالمجتمع ..... د. حنين إبراهيم معالي 20
  - الرواية الأردنيّة في مصر.. من غالب هلسا إلى جلال برجس ..... نـورا نـاجـي 24
  - عن الرواية الأردنيّة في سياق عربيّ، كما رأيتها من نافذة عوالمي ..... هيا صالح 28

ملتقى الأجيال

- ملتقى الأجيال
  - يوسف الساخر ..... حاورته: نور رواشدة 33

ورد بلدي

- ورد بلدي
  - بين البداية والبداية ..... عضيب العضيبات 41
  - ما بين العمر والتجربة ..... سماح جهاد العارضة 42
  - ذاكرة الغياب ..... سامر المعاني 44
  - رقصة على مقام الحجاز ..... أماني المبارك 46
  - مع وقف التنفيذ ..... روند الكفارنة 48

العدد 8 من الإصدار الجديد 2022
مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي
تصدرها وزارة الثقافة الأردنية
8
2022

contents

- ضجر الإجازة المدفوعة ..... ماهر القيسي 51
- فساتين ملوّنة ..... عرين جرادات 52
- لوحات ريفيّة بعيون بدويّة ..... دعاء الزيود 53

• خرائط البوح

- الكتابة... التقاط الذي على قارعة الطريق ..... رشا ديرية 58

• المختبر

- جماليّة الوصف في المجموعة القصصيّة «صلصال» لهشام مقدادي ..... موسى إبراهيم أبو رياش 64
- في الحرب الحبر أجمل الدماء ..... باسم سليمان 68
- الشاعر الأردنيّ محمد النعيمات (الصَّمتُ كيسُ الكلام) ..... عبود الجابري 72
- قراءة في نظرية ما بعد الإنسان ..... مريم عواد الطوالبة 76

• مراسيل

- الثقافة العربيّة في كندا..جهود فرديّة.. إبداعات مبعثرة ..... حسام عبد القادر مقبل 86

• نقوش

- «حرثا»: دُرّة حُوران التي يكادُ زيتُها يُضيء...! ..... يحيى القيسي 92

عتبة

سرديات الشباب

تواجه الروايةُ العربيّةُ التي يكتبها الشبابُ في هذه المرحلة سيلاً من الانتقادات، وليس النقدُ إلّا القليلَ منها، ويُتّهَمُ الفضاء الروائيّ من قبل بعض النقّاد والكتّاب والمثقّفين بالاستسهال والتعجّل بالنشر، واللهاث وراء الجوائز، ويرَوْنَ في صعود أسهم الرواية على صعيدي الكتابة والقراءة انفجاراً له نتائج سلبيّة، من دون أن نلمس تراكماً كافياً لآراء نقديّة موضوعيّة تتطرّق لتجاربهم، ومن دون حتى أن يُقرَؤوا من قبل الكُتّاب الذين يرَوْنَ في كتابتهم أمراً فائضاً عن الحاجة.

حسناً، هناك استسهال وتعجّل، لكنَّ ذلك ليس الصفة العامة للمُنجَز، بل نحن أمام حالة مهمة لا بدّ أن تُفضي إلى الجديد، بناءً على المسارات المتعارف عليها لتعاقب الأجيال الأدبيّة. والروايةُ الأردنيّةُ جزءٌ مهمٌّ من هذا الفضاء الروائيّ العربيّ، إذ تشهد الساحة الثقافيّة مؤخراً نشاطاً لافتاً، من حيث كتابتها وقراءتها، وما المرحلة التي وصلت إليها الرواية الأردنية هذه الأيام بمعزل عن المُنجَز الروائيّ العربيّ، وليست منفصلة عن جيل الروّاد الأردنيين، فقد مرّت الرواية بأكثر من مرحلة وهي تخطو نحو التطور، وتتدرّج وَفْقَ أسسٍ معيّنةٍ، هي في الأصل الشرط الأساسيّ لأيّ تطوّر أدبيّ: (الإنسان، ومكانه، وزمانه)، وصراع هذه العناصر مع بعضها بعضاً ومع الآخر، هذا الصراع الذي أدّى بالطبع إلى نشوء الرؤية بكلّ مستوياتها الثقافيّة والفكريّة والسياسيّة والاجتماعيّة من زاوية إبداعيّة.

تبنَّت الرواية الأردنيّة العمق الإنسانيّ والقوميّ منذ بواكيرها التي تبتدئ بـ (عقيل أبو الشعر) صاحب رواية (الأرمنيّة في قصر يلدز)، التي صدرت عام 1912، وقد تلتها رواية (أبناء الغساسنة وإبراهيم باشا) لروكس بن زائد العزيزي عام 1937م، والمستوحاة من قصة حقيقيّة وقعت في عهد إبراهيم باشا عام 1823م.

في الأربعينيّات والخمسينيّات أخذ هذا التطورُ في الصعود عبر طريقه القوميّة والإنسانيّة، فربحت الساحة الثقافيّة رواياتٍ مهمةً مثل: رواية (أين حماة الفضيلة) لتيسير ظبيان، التي نُشِرَت على صفحات جريدة الجزيرة عام 1940م، ورواية (ذكريات) لشكري شعشاعة عام 1945م، ورواية (فتاة من فلسطين) لعبد الحليم عباس المنشورة عام 1949م، و(مارس يحرق معداته) لعيسى الناعوري التي نُشِرَت عام 1955م، ورواية (بيت وراء الحدود) لعيسى الناعوري عام 1959م، التي تتطرّق إلى قصة فاجعة الشعب الفلسطينيّ، ورواية (مغامرات تائبة) لحسني فريز عام 1959م.

وشهدت الساحة الثقافيّة الأردنيّة والعربيّة في الستينيّات ولادة روايات ذات بعد حداثي أخذ يستلهم الفضاء الأردني من زاوية محليّة وقوميّة، مثل: (أنت منذ اليوم) لتيسير سبول، و(أوراق عاقر) لسالم النحاس، و(الضحك) لغالب هلسا، إذ تُعَدّ هذه الرواياتُ المهمةُ المؤسِّساتِ للمرحلة الثانية للرواية الأردنية، فقد بُنيت على وعيها كثير من الروايات اللاحقة التي أخذت - إضافةً إلى بعدها الإنسانيّ والقوميّ – تتعمّق في بعدها المحليّ، وتعاين الإنسان ومكانه وزمانه وفق أسس الصراع والاشتباكات الإنسانيّة اليوميّة، وقد تصدَّرت هذه المرحلة أسماء مهمة، على سبيل المثال لا الحصر: مؤنس الرزاز، وهاشم غرايبة، وسميحة خريس، وزياد القاسم.

في التسعينيّات جاء جيل جديد من الروائيين الذين لم ينفصلوا عن إرثهم الروائيّ منذ الروّاد مروراً بمن بعدهم، وتميَّزت أعمالهم بأفق محليّ غير منفصل عن البعدينِ القوميّ والإنسانيّ، وإنَّ هذا ما يُميِّز الرواية الأردنيّة، إضافة إلى تفرّدها في نزعتها الحداثيّة الجريئة التي كانت لتيسير سبول ومؤنس الرزاز وغالب هلسا، الأثر الكبير في سلوكها هذا المنحى، خاصة أنَّ تلك الروايات وجدت انتشاراً في الفضاء العربيّ، ونال عدد منها جوائز عربية مهمة.

لم يكن الفضاء الروائيّ الأردنيّ بمعزل عن تبوُّؤ الرواية العربية مكانتها الجديدة، بحيث صارت ديواناً للعرب، إذ شهدت الألفيّة الجديدة صعوداً روائيّاً لافتاً، جزء كبير من هذا المنجز يكتبه شبابٌ برؤى وأساليب ولغة يُعوَّل عليها.

وقد درج مختبر السرديات الأردنيّ - الذي ترأست هيئته الإداريّة لدورة واحدة – على الاعتناء أكثر بتلك النتاجات الأردنيّة الجديدة عبر برامجه المتنوعة، وأهمها برنامج (ما قبل النشر) الذي حقّق نتائج إيجابيّة انعكست على العديد من المخطوطات السرديّة التي نوقشت وفق أسس مهمة، هذا الدور يضاف إلى عدة أدوار، منها ما تتبنّاه وزارة الثقافة منذ زمن من حيث النشر، وإقامة الندوات والورش، وجهود كثيرة وكبيرة.

لا بدّ للجيل الجديد من مواكبة نقديّة، ومن دعومات من أكثر من جهة، ومن إيمان بقدراتهم وبرؤاهم وبالإبداع، وبتعاقب الأجيال، فمَن هو مكرَّس اليوم، كان حديث التجربة في الأمس.

جلال برجس
رئيس التحرير

البوابة
الرقمية

الأجيال الشابة والقراءة في زمن الهواتف الذكية ووسائل التواصل الاجتماعي

محمد سناجلة

البوابة الرقمية

في عصر الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية وفيسبوك وتويتر وأنستغرام ويوتيوب وتيك توك وسهولة الوصول إلى الإنترنت، كان هناك انخفاض سريع وملاحظ في الاهتمام بالقراءة، وهذا واضح بشكل خاص بين الأجيال الشابة.

إذا كان لديك أطفال أو أشقاء أصغر سنًا بين أفراد أسرتك، فربما تكون قد لاحظت ذلك عن كثب، وهو أمر ملفت للنظر فقد ساهمت التكنولوجيا في الافتقار الواضح إلى الاهتمام بقراءة الكتب من قبل الأجيال الشابة مقارنة بأسلافهم، ومع ذلك فإن هذه الثورة الرقمية قد تقدم بالفعل طرقاً أخرى جديدة لقراءة الأدب.

أظهرت الأبحاث التي أجراها صندوق «محو الأمية الطبيعي» (Natural Literacy Trust) في أميركا أنه في عام 2021 ، قال 1 من كل 2 من الأطفال والشباب إنهم استمتعوا بالقراءة، وهذا يعني أن هناك 50% من الشباب لا يقرؤون، وعلاوة على ذلك يقرأ 51% من الأطفال القصص الخيالية المطبوعة في أوقات فراغهم، ومع ذلك فإن ربع الذين تقل أعمارهم عن 18 عامًا يقرؤون لقضاء وقت الفراغ كل يوم، وهو أدنى مستوى يومي مسجل على الإطلاق في الولايات المتحدة الأميركية .

وعلى الرغم من أن القراءة لا تُستثنى تمامًا من الحياة اليومية للشباب ، فإن هناك مسارًا واضحًا لكيفية تغير العادات حيث تراجعت القراءة كهواية بالفعل في شعبيتها لدى الأجيال الشابة، ومن المرجح أن تستمر في التراجع مستقبلاً.

جزء كبير من الأسباب الواقفة خلف عزوف الشباب عن القراءة يعود بلا شك إلى الأهمية المتزايدة للهواتف الذكية، ووسائل التواصل الاجتماعي في الحياة اليومية للأطفال والشباب، حيث أصبح العمر الذي يمتلك فيه الأطفال هاتفاً ذكياً منخفضاً جدًا، فأغلبهم يمتلكون هذه الهواتف في سن مبكرة جدا من حياتهم.

جيلنا مثلا لم يمتلك هاتفا جوالاً إلا في مرحلة متأخرة من العشرينيات من أعمارنا، ولم تكن هواتف «موتورلا» و«نوكيا» التي كنا فرحين فيها متصلة بالإنترنت، كانت هواتف صغيرة بلوحة مفاتيح محبطة حيث كان علينا الضغط على مفتاح واحد ثلاث مرات لكتابة حرف واحد، وكان إرسال رسالة يستهلك وقتاً طويلاً، ومع ذلك كنا في غاية الفرح بتلك الهواتف البائسة مقارنة بهواتف هذا الزمان الذكية.

في هذه الأيام ، يكاد يكون من المسلم به أن يمتلك معظم الأطفال هواتف ذكية في مرحلة الدراسة الإعدادية مما يوفر لهم إمكانية الوصول بسهولة إلى الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي المختلفة.

وهذه الوسائل سهلة وتحقق الرضا الفوري من خلال المنشورات القصيرة، ومقاطع الفيديو التي ترضي جميع الأذواق، والتي تركز أيضاً على استقطاب الشباب من مختلف الأعمار، والذين هم وقود استمرارها وازدهارها، وأصبحت هاوية «التمرير» والتصفح السريع تبتلع كل شيء من الوقت إلى الجهد إلى الرغبة بعمل أي شيء آخر،

حيث يمضي الشباب أوقاتاً طويلة كل يوم في تصفح ومشاهدة مقاطع الفيديو القصيرة، ولم لا فالإنترنت بها كل شيء فلماذا نهتم بالقراءة، وما الحاجة للقراءة.

لا يوجد إشباع فوري من قراءة كتاب، ويستغرق الأمر وقتاً وتركيزاً كبيراً يُتعب العقل، ويصبح الأمر أكثر صعوبة خصوصاً عندما يكون لديك هاتف ذكي بجوارك متصل بالشبكة ويقدم لك العالم بين أصابعك، وهو أمر أكثر تشويقًا من المضي صفحة بصفحة في قراءة كتاب بسمك ذراعك.

وتغدو الأمور أسوأ على المدى الطويل حيث ستقلل وسائل التواصل الاجتماعي من مدى انتباهك، وتجعل من الصعب عليك متابعة القراءة، ونحن نعلم جميعا الشعور بمحاولة قراءة شيء صعب والتركيز لفهم ما يريد الكاتب إيصاله، مما يصيبنا بالإحباط، لكن لم كل هذا العناء، في الإنترنت كل شيء سهل وفوري ولا يحتاج للتركيز وإعمال العقل مثل قضاء وقت طويل في قراءة كتاب من 400 صفحة.

تبدو الصورة قاتمة لمستقبل القراءة، ولكن مهلاً، ليس الأمر بهذا السوء حقاً، ذلك أن انتشار وسائل التواصل الاجتماعي يمكن أن يعمل أيضا كوسيلة هامة لنشر القراءة.

لقد شاهدنا جميعًا تطور التكنولوجيا على نطاق واسع خلال السنوات الأخيرة، وتغير العادات الحديثة لأنماط الاستهلاك، وفي هذا المجال وفرت الإنترنت طريقة سهلة للوصول إلى الكتب مجاناً دون الحاجة إلى شرائها أو امتلاك نسخة ورقية ثقيلة منها.

انتقلت البشرية بسهولة إلى عصر الكتب الإلكترونية، والكتب الصوتية، وفي هذا السياق قال طفل واحد من بين كل 6 أطفال إنّهم استمعوا للكتب الصوتية في بداية عام 2020 حسبما كشفت الأبحاث.

وعلى الرغم من أنها ليست طريقة تقليدية للتعامل مع الكتب ، إلا أنها طريقة تغير بها استهلاك الوسائط جنبًا إلى جنب مع التطورات التكنولوجية، وعلى نفس المنوال ، تسمح الكتب الإلكترونية بالوصول إلى نطاق واسع من القراء في مختلف أرجاء العالم ، ويمكن القول ، إنّها أكثر ملاءمة للتخزين وللقراءة أيضاً من الكتب الورقية.

لذا ، فإن التساؤل عما يعنيه هذا بالنسبة لمستقبل القراءة يسلط الضوء بالتأكيد على قدرة الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي على العمل كأداة لتشجيع القراءة بدلاً من الحد منها، حيث توفر وسائل التواصل الاجتماعي منصة لإنشاء مجتمع رقمي لجميع أنواع الاهتمامات، وعلى سبيل المثال «بوك توك» (Book-Tok) هو قسم فرعي من «التيك توك» مخصص لمشاركة التوصيات والمراجعات لهذه الكتب، كما تعد منصة «غوغل ريدز» (Goodreads) أقدم قليلا من TikTok ، وهي مخصصة بشكل خاص لتوصيات الكتاب، ومشاركة ما قرأته مع أصحابك وأصدقائك.

وبطبيعة الحال فإن هذا لا يزيل مشكلة أن الكتب تحتاج وقتا طويلاً للقراءة في زمن ترتبط فيه الأنشطة الترفيهية بشيء ممتع وسهل، وخاصة بالنسبة لجيل نشأ في ظل التكنولوجيا، وتربى في

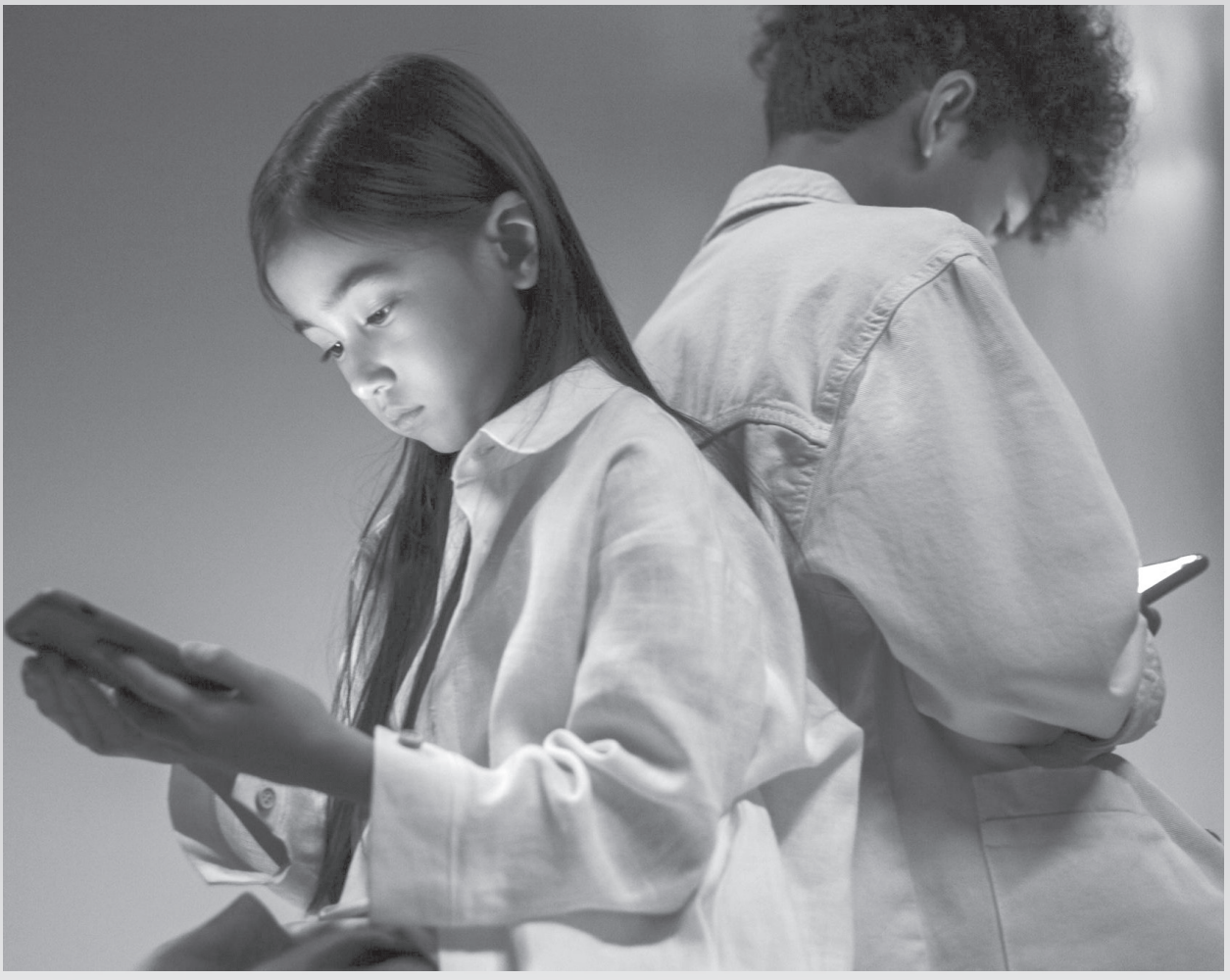

وسائل التواصل الاجتماعي التي تقدم كل شيء بطريقة سهلة وميسرة، والقراءة ليست كذلك بطبيعتها فهي تحتاج إلى وقت وجهد عقلي وتركيز ذهني.

الحل يكمن في إيجاد وسائل عصرية لتشجيع الأجيال الشابة على القراءة مع تبيان ضرر إدمان وسائل التواصل الاجتماعي، فمن المعروف وعلى نطاق واسع أن هذه الوسائل يمكن أن تكون ضارة بشكل لا يُصدق بالصحة العقلية لمستخدميها، وخاصة الأطفال المعرضين للخطر، في حين إنّ القراءة مفيدة لنمو الشباب وتطورهم وإبراز مواهبهم وتثقيفهم وتعليمهم، كما تشجع على تنمية وانتشار الإبداع والابتكار بينهم.

وهناك مسؤولية كبيرة على المؤسسات الثقافية في مختلف البلدان لتشجيع الأجيال الجديدة على القراءة كما توجد أيضاً مسؤولية أخرى على الكتّاب أنفسهم كي يخرجوا من أبراجهم العاجية، ويفهموا التطورات الكبيرة التي تحدث في العالم من حولهم، وبالذات داخل الأجيال الشابة التي أدمنت السرعة في كل شيء، وهذا يعني أن على الكتب والكتاب أن يتغيروا ويتكيفوا مع متطلبات العصر الرقمي الذي لا ينتظر أحداً.

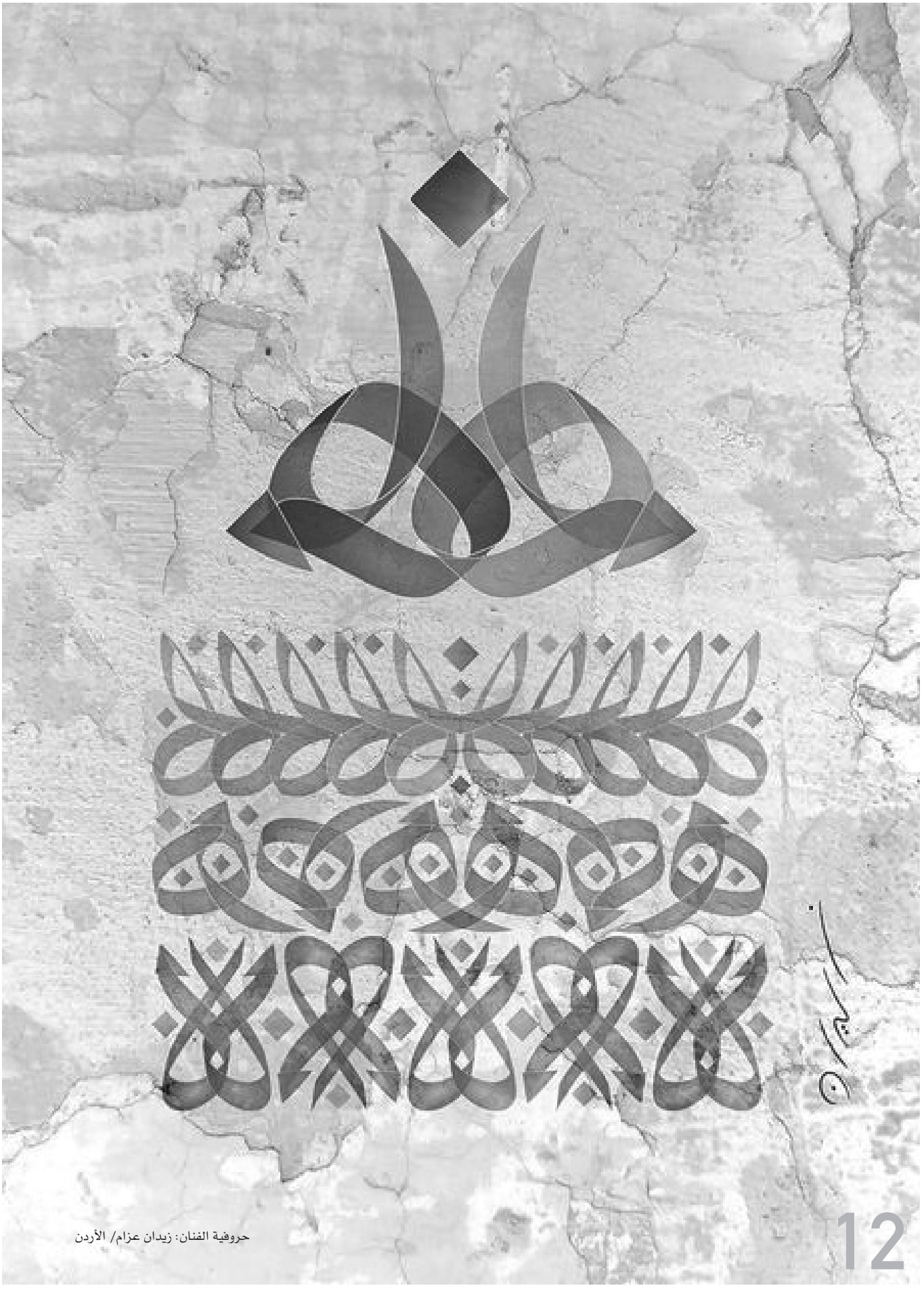

حروفية الفنان: زيدان عزام/ الأردن

العدد

الرواية الأردنيّة
بين محليّتها والفضاء العربيّ

- الرواية الأردنيّة .. بين محليّتها والفضاء العربيّ ..... عاصف الخالدي
- الرواية الأردنية جسر يمتدّ لأكثر من ضفّة ..... الدكتورة: فاطمة نصير
- تطوّر الرّواية الأردنيّة وصلتها بالمجتمع ..... د. حنين إبراهيم معالي
- الرواية الأردنيّة في مصر.. من غالب هلسا إلى جلال برجس ..... نـورا نـاجـي
- عن الرواية الأردنيّة في سياق عربيّ، كما رأيتها من نافذة عوالمي ..... هيا صالح

الرواية الأردنيّة بين محليّتها والفضاء العربيّ

عاصف الخالدي*

حين نتحدّث عن الرواية الأردنيّة، فلا بدّ من الإشارة في البدء لجهود الدكتورة هند أبو الشعر التي تمخّضت عن استعادة الإرث الأدبيّ لعقيل أبو الشعر، الذي أصدر روايته (الفتاة الأرمنية في قصر يلدز) عام 1912، كما شهد عام 1935 ظهور رواية أردنيّة من تأليف الكاتب أديب رمضان، تلتها رواية «أبناء الغساسنة» التي كتبها روكس العزيزي عام 1937، ومنذ ذلك الحين ظهرت أسماء متنوعة لروائيّين أردنيّين في فضاءات الأدب المحليّ والعربيّ، شكّلوا مشهداً روائيّاً رسمته التفاصيل والتجارب المختلفة، والنزوع إلى التطوير في النص والتقنيات والأساليب.

*باحث أردني

يأتي هذا العدد من مجلة صوت الجيل معاصراً تماماً في محاولته التقاط اللحظة الحاضرة، من خلال معاينة الرواية المحليّة وانتشارها محليّاً، والرواية العربية وحضورها في فضاء الأدب العالميّ، خصوصاً أنّنا نعيش عصر الغزارة والتنوع والتواصل الثقافيّ في أوسع تجلّياته، من خلال التكنولوجيا والتطوّر الرقميّ، والإعلام، والتبادل الثقافيّ بين الأمم.

وفي عصر لم تعُدْ فيه الرواية وطنية فقط، بمعنى أنَّ محليّة الرواية لم تعد عائقاً في درب عالميتها، كما لم تعُدِ اللغة حاجزاً يمنع وصولها إلى القرّاء، يمكن التساؤل حول حال الرواية الأردنيّة، ولعلَّ الرواية المحليّة الأردنيّة، الحاضرة في العالم العربيّ بأوجه متعددة، من خلال القرّاء والجوائز والدراسات النقديّة، والنشر الورقيّ والرقميّ، تحتاج إلى تكوين رأي يُسلِّط الضوء على حضورها المعاصر اليوم، بوصفها جزءاً من محيطها العربيّ، من حيث المواضيع، والقضايا العامة، والتركيبة الاجتماعية، واللغة، وغيرها من مشتركاتٍ ربما تميّز الأدب الروائي في سياقه العربيّ، ومن هنا يمكن طرح السؤال الأهمّ، **وهو: أين تكمن الروايتان الأردنية والعربية في ظلّ المُحفِّزات والمعيقات المحيطة بهما في واقعنا المعاصر؟**

أدباء ومبدعون عرب وأردنيون، تصدَّوْا للإجابة على هذا السؤال، وأفردوا آراءهم ووجهات نظرهم في مجموعة من المقالات، ورصدت أستاذة النقد الأدبي بجامعة سكيكدة الجزائرية الدكتورة فاطمة نصير بوعي نقديّ الواقع الروائيّ الأردنيّ هذه الأيام، وعلاقته بالفضاء الروائيّ العربيّ، من خلال عدد من التجارب الروائيّة.

كما سبرت أستاذة النقد والأدب العربيّ الحديث الدكتورة حنين معالي أغوار السؤال من خلال علاقة الرواية الأردنيّة بمجتمعها وبمحيطها العربيّ، مُلقيةً الضوء على دور النقد والدراسات في تفعيل وتطوير انتشار الرواية، وإكسابها الزخم الفنّيّ والجماليّ اللازم لانتشارها، بوصفها أدباً يمنح القارئ فرصة لمعاينة ذاته في سياق إنسانيّ عالميّ لا يحدّه زمان أو مكان واقعيّ ولا روائيّ.

من ناحيةٍ أخرى قرأت الروائية والكاتبة المصرية نورا ناجي الأثر الثقافيّ والفنيّ للرواية الأردنيّة في القارئ العربيّ، من خلال معاينة بيئة القراءة والثقافة في جمهورية مصر العربيّة، وقدَّمت نموذجاً للتأثير العربيّ المتبادل على مستوى القارئ والمؤلِّف، بما يتمّ إنتاجه من روايات وأعمال أدبية.

أمّا الكاتبة الأردنيّة هيا صالح، فأطلّت من نافذة تجربتها الخاصة على علاقتها كروائية مع القارئ والنقد والجوائز، ورصدت هذا كلّه، إضافة إلى التكنولوجيا والإعلام، وأثر هذا كلّه على تجربتها في الكتابة، وعلى رواياتها، واستطاعت بالتالي قياس تجربتها مع التجربة الروائية المحليّة والعربيّة عامة، مستكشفة ما هو متوفر وما ينقص في سياق انتشار الروايات محليّاً وعربيّاً.

وخاتمةً يقدِّم هؤلاء المبدعون إلى القارئ والناقد والمتخصّص على حد سواء، خلاصة رؤاهم في شأن الرواية الأردنيّة والعربيّة، في ضوء مسألة انتشار الأدب الروائيّ، أما من جهتنا في صوت الجيل، فإنّنا ندعو إلى الاستمرار بالنهوض والارتقاء بالنقد والكتابة وتبادل الآراء؛ إحياءً لصوت الإبداع والثقافة لدى الشباب في جميع المجالات الأدبية، وندعوهم من خلال قراءة هذا الملف إلى إبداء الآراء والحماس للمشاركة في مختلف المواضيع الفنيّة والمعرفيّة والأدبيّة.

الرواية الأردنية جسر يمتدّ لأكثر من ضفّة

الدكتورة: فاطمة نصير*/ الجزائر

المتتبّع لمسار الرواية الأردنيّة في السنوات الأخيرة، يلحظ تقدّمها وقطعها أشواطاً لا تُنكر، وحضورها الفاعل في المحافل الأدبيّة والثقافيّة، أردنيّاً وعربيّاً وعالميّاً، ولم يكن ذلك وليد لحظة أو صدفة، بل كان نتيجة من نتائج تراكم الكتابة والانتصار لخوض غمار موضوعات عديدة تُلامس حياة الانسان المعاصر.

قد يلاحظ المهتمّ بالرواية عموماً والرواية الأردنية على وجه الخصوص كثرة التّجارب وتدفّق النصوص الروائية إلى حدّ الهوس والجنون، حالها حال كلّ الأقطار العالميّة والعربيّة، هذا النتاج الهستيري وخروج العديد من النصوص التي توسم باسم رواية على غلاف الكتاب، لم يمنع من وجود نصوص سرديّة ذات بنية متماسكة وأسئلة شائكة، جديرة بأن يستقيم عليها نصّ روائيّ بالكامل.

الوعي بأساليب الكتابة الروائيّة يتطلّبُ جهداً ومثابرة وصبراً، وتجريباً وموهبةً، هذه الأمور كلّها

*أستاذة «النقد الأدبيّ» محاضرة بكلية الآداب واللغات جامعة 20 أوت1955 سكيكدة

ليس من السّهل أن تتوافر في كاتب واحد، ولكنّها ليست بالمستحيلة، فقد برزت بعض الأسماء الأردنية في سماء الرواية العربيّة في السنوات الأخيرة، وخاضت غمار المنافسة مع أسماء عربيّة كثيرة في جوائز كبرى مشهود لها بالأهمية وذياع الصيت.

ومن أبرز الأسماء الأردنية التي كان لها حضور بارز في المحافل الأدبية، وقد توِّجت بأكثر من جائزة مهمّة، نذكر الروائي جلال برجس في جائزة كتارا عام 2015، عن فئة الروايات غير المنشورة في العام، رواية بعنوان (أفاعي النار حكاية العاشق علي بن محمود القصّاد)، وقد أصدرتها هيئة الجائزة عام 2016، هذه الرواية التي كان لها حظ ومقروئيّة انطلاقاً من إشهارها رسميّاً بعد الفوز بالجائزة، وترجمتها لأكثر من لغة، بالإضافة إلى الأسئلة التي أثارتها الرواية، وهي الأسئلة التي ترجمت هواجس القارئ المعاصر وشَدَّته لمواصلة تتبع خطّ السّرد من فصل إلى فصل حتى بلوغ نهاية الرواية.

وإلى جانب رواية «أفاعي النار»، تُوّج «برجس» مؤخّراً بجائزة البوكر للرواية العربيّة في الدورة الرابعة عشرة عام 2021 عن روايته «دفاتر الورّاق»، الصادرة عن المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، وقد تضاعف عدد قرّاء رواية «دفاتر الورّاق» وكلّ روايات «جلال برجس» بعد هذا التتويج الرّسميّ من هيئة جائزة لها مكانة مرموقة، وقد اعترف برجس الذي يؤمن بالكلمة ويُعلي من قيمة القرّاء ومكانتهم قائلاً: «شكراً للجائزة العالميّة للرواية العربيّة، فقد فتحت لي كلّ هذه الطرق الجميلة إلى القرّاء؛ لتصل كلمتي التي عملتُ على أن تكون يداً تزرع البهجة في حقل الإنسانيّة».

وقد تزامن هذا الفوز مع مرحلة مختلفة في الحياة عامّة، لا سيما الحياة الأدبيّة والثقافيّة، وهي مرحلة انتشار وباء كوفيد 19، وما تبعه من متحوّرات بسببها تقلّص التواصل المباشر والتقاء الكتّاب والمثقفين والمبدعين بقرّائهم في العالم الواقعيّ؛ لتتّسع دائرة اللقاءات الافتراضيّة في مواقع التواصل الاجتماعيّ وغرف اللقاء الافتراضيّة، مثل برنامج **Zoom** و**Google Meet** وغيرهما من البرامج والمنصّات الافتراضيّة التي حاولت تعويض غياب اللّقاء الواقعيّ، وكانت بشكل أو بآخر جسراً بين الروائيين والنقّاد والقراء، لكن ظلّ الجميع يحنّ لعودة اللّقاءات الواقعيّة الوجاهيّة، التي عادت تدريجيّاً بعد بدء أفول كابوس الوباء تدريجياً، الذي كان سبباً في القطيعة وامتداد الفجوة بين الكتّاب والقرّاء التي حاولوا تداركها بعدّة أساليب ساهمت فيها التكنولوجيا بشكل كبير.

وللتنويه فإنَّ جلال برجس كان قد وصل للقائمة الطويلة لجائزة البوكر عام 2019 عن روايته «سيدات الحواس الخمس» الصادرة في عام2017، كما سبق أن تُوِّج في مساره الإبداعيّ بعدّة جوائز أخرى، حيث حصلت مجموعته القصصية «الزلازل» على جائزة روكس بن زائد العزيزي للإبداع في 2012، وحازت روايته «مقصلة الحالم» جائزة رفقة دودين للإبداع السرديّ عام 2014، بالإضافة إلى حضوره إعلامياً في المحافل الأدبيّة والثقافيّة، ما أتاح له الاقتراب أكثر من قرّائه ومعرفة مدى وقع اقترابه منهم.

ومن الأسماء الأردنية المهمّة في عالم الرواية، الكاتبة «هيا صالح» كاتبة محمّلة بزاد معرفيّ وحسّ أدبيّ متنوّع، قادمة من عوالم الكتابة للأطفال،

فقد عُرفت هيا صالح بكتابة القصص للأطفال، وبالكتابة الدراميّة والمسرحيّة والنقديّة، فاجأت السّاحة الأدبيّة العربيّة والأردنيّة باقتحامها عالَم الرواية، بعد فوزها في عام 2018 بجائزة كتارا بفئة الروايات غير منشورة، عن روايتها «لون آخر للغروب»، رغم أنّ هذه الرواية كانت أولى روايات «هيا صالح»، لكنَّ الرواية لاقت استحساناً في أوساط القرّاء والمهتمين بالرواية، وقد تمّ نشر الرواية وتوزيعها وترجمتها إلى عدّة لغات في عام 2019، على عاتق هيئة الجائزة، وهي من الروايات التي كُتبت وفازت بالجائزة قبل زمن كوفيد، لكن انتشارها الفعليّ ومقروئيّتها تزامنت مع الوباء.

من المهمّ جداً التذكير بأنَّ الكاتبة الأردنيّة «هيا صالح» الحاصلة على ليسانس في اللغة العربية وآدابها، هي شخصية فاعلة وفعّالة في الوسط الأدبيّ والثقافيّ، من خلال ما تقدّمه من إصدارات، وكذا عضويّتها ونشاطها في أكثر من هيئة أدبيّة.

لم يكن فوز «هيا صالح» عقب روايتها «لون آخر للغروب» أوّل تتويج وتكريم في مسارها الأدبيّ، ولكنّه أول فوز بجائزة في الرواية تحديداً، وربّما هذا الفوز سيكون حافزاً للمزيد من الكتابة الروائيّة لدى «هيا صالح»، التي برهنت من خلال روايتها بأنّها تمتلكُ قلماً وقريحة تمكّنها من اقتحام عوالم السرد.

في مسارها الأدبيّ فازت هيا صالح قبل خوض عالم الرواية بعدّة جوائز في أدب الطفل وفي الكتابة النقدية والكتابة المسرحية، من أبرز الجوائز، جائزة الدولة الأردنيّة في مجال أدب الطفل2017، وجائزة «ناصر الدين الأسد للدراسات النقديّة» التي تمنحها رابطة الكُتّاب الأردنيّين، عن كتابها «المسافة صفر.. اشتباكات الرواية والحياة» 2016، وفازت مسرحية «في يدي نجمة» بجائزة أفضل عرض متكامل من مهرجان الإبداع الطفوليّ الذي نظّمته وزارة الثقافة، عمّان، 2016.

أمّا قصتها «سيرة حياة ورقة» الموجّهة للأطفال، فقد تُوِّجت بجائزة أفضل كتاب عربيّ للطفل، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة عام 2013، أمّا مخطوط قصتها الموجّهة للطفل «شامة الصغيرة في ورطة كبيرة»، ففاز بجائزة الإبداع الأدبيّ، مؤسسة ناجي نعمان للثقافة، بيروت عام 2013.

وفاز نصّها الموجّه للطفل «من حقّي أن» بمسابقة النصّ المسرحيّ الموجَّه للطفل بالمركز الثالث في الهيئة العربية للمسرح، الشارقة، 2013، كما فازت حلقة برنامج «مجلة السنابل» الذي أعدّته للأطفال وبثّتها الإذاعة الأردنية، بالجائزة الذهبية في مهرجان الإذاعة والتلفزيون، تونس، 2009.

مشوار الكاتبة هيا صالح حافل ومتنوّع، وفيه من التكريمات التي تُبرز جانباً من مثابرتها واجتهادها، ولعلَّ تجربة الكتابة الروائيّة كانت في مرحلة حاسمة من حياتها الإبداعيّة بعد تراكم التجربة الأدبيّة والقراءة والكتابة، سلكت طريق الكتابة الروائيّة وهي مزوّدة برصيد أدبيّ ونقديّ، قد يكون ذاك ما أهَّلها لخوض غمار التجربة التي كُلِّلت بالفوز في جائزة مهمّة عربياً، وقد تكون أيضاً رواية «لون آخر للغروب» أول روايات هيا صالح وليس آخرها، إذ نتوقّع بعد هذا الفوز والمقروئيّة التي حظيَت بها الرواية أن تتبعها روايات أخرى تحمل الجديد لقرّائها.

مـن الأسـماء الأردنيـة المهمّـة جـداً أيضـاً في عالـم الروايـة، الكاتبـة الروائيـة «سـميحة خريـس»، التـي لهـا حضـور أردنـيّ وعربـيّ مـن خـلال رصيدهـا الأدبـيّ الثـريّ، الـذي يحتـوي مجموعـات قصصيـة، مثـل:» أركسـترا»، و«مـع الأرض» وغيرهـا، ثـمّ تفرّغـت خريـس للكتابـة الروائيّـة تحديـداً، إذ برعـت فيهـا وأبلـت بـلاءً حسـناً، وقـد تحوّلـت بعـض رواياتهـا إلـى مسلسـلات إذاعيّـة أنتجهـا هيئـة الإذاعـة والتلفزيـون في الأردن.

ومـن روايتهـا نذكـر «المدّ»، و«القرميّة»، و«خشـخاش»، و«رحلتـي»، و»الصحـن»، و«دفاتـر الطوفـان»، و«فسـتق عبيـد»، وهـذه الروايـة الأخيـرة لاقـت حظـاً ونصيبـاً أوفـر مـن الانتشـار والمقروئيّـة والرّصـد الصّحفـيّ والكتابـة النّقديـة، قبـل وبعـد فوزهـا بالـدورة الثالثـة لفئـة الروايـات المنشـورة بجائـزة كتـارا عـام 2017، ولعلّ نجـاح هـذه الروايـة وانتشـارها كان سـببه كثافـة التجربـة الروائيـة، وتمـرّس الكاتبـة بعـد قطـع شـوط لا بـأس بـه في عالَـم الكتابـة الروائيّـة.

لـم تكـن تلـك الجائـزة الأولـى في مسـار الكاتبـة «سـميحة خريـس»، بـل في مشـوارها الأدبـيّ العديـد مـن التكريمـات والجوائـز التـي كانـت اعترافـاً بإبداعهـا وتميّزهـا، مـن ذلـك نذكـر: جائـزة الدولـة التشـجيعية وزارة الثقافـة عـن روايـة «شـجرة الفهـود» عـام 1997، بالإضافـة إلـى الميداليـة الذهبيّـة للعمـل المتكامـل مـن مهرجـان القاهـرة للأعمـال الدراميـة عـام 2002، وفي عـام 2004 تُـوجّت بجائـزة «أبـي القاسـم الشـابي» في تونـس عـن روايتهـا «دفاتـر الطوفـان»، وقـد نالـت أيضـاً جائـزة الإبـداع الأدبـيّ مـن مؤسسـة الفكـر العربـيّ في بيـروت عـن مجمـل أعمالهـا عـام 2008، وجائـزة الدولـة التقديريـة في الآداب (مناصفـة) عـام 2014 بعمّـان، ووسـام الحسـين للعطـاء المميّـز عـام 2015 في عمّـان.

وإلـى جانـب هـذه التكريمـات لـ«سـميحة خريـس» حضـور فاعـل في الأوسـاط الأدبيّـة الأردنيّـة والعربيّـة، فهـي عضـو في العديـد مـن الروابـط والهيئـات الأدبيّـة والثقافيّـة المهمّـة داخـل الأردن وخارجـه، وقـد كانـت رواياتهـا جسـراً بينهـا وبـين الأدبـاء وقرّائهـا في الأردن وخارجـه، إذ تُعَـدّ خريـس مـن أبـرز الأسـماء الروائيّـة ذات الحضـور والتأثيـر، ولهـا بصمتهـا الخاصّـة في عالـم يتدفّـق يوميـاً بنصـوص وروايـات جديـدة.

وإن كنّـا قـد عرضنـا هنـا بعـض الأسـماء الأردنيّـة في عالـم الكتابـة الأدبيّـة، فـإنَّ الأسـماء التـي غابـت ليسـت بأقـلّ أهميّـة، ولكـنَّ هـذه الأسـماء كان لهـا الحضـور الأكثـر في السـنوات الأخيـرة التـي تزامنـت أو قاربـت زمـن الوبـاء الـذي فـرض بعـض العزلـة، فهـم بـين الأسـماء التـي مثّلـت الروايـة الأردنيـة عربيّـاً، إذ مـن خـلال انتشـار بعـض الروايـات الأردنيّـة وحضورهـا عربيّـاً، خرجـت الروايـات مـن عزلتهـا الجغرافيّـة، حتـى التـي كانـت عوالمهـا وأمكنتهـا المحليّـة جـداً، فقـد كان هـؤلاء الأدبـاء وغيرهـم سـفراء للروايـة الأردنيـة التـي كسـرت حواجـز الحـدود، وتحـدَّت العُزلـة مـن خـلال اسـتثمار الأدبـاء والكتّـاب والهيئـات الثقافيّـة والأدبيّـة الأردنيّـة للوسـائط التكنولوجيّـة والإعلاميّـة؛ لتوصيـل صـوت الروائـي الأردنـيّ للعالـم ككل والعالـم العربـيّ بشـكل خـاص.

تطوّر الرّواية الأردنيّة وصلتها بالمجتمع

د. حنين إبراهيم معالي*

إنَّ الروايةَ من الفنون الأدبيّة التي تتصل اتصالاً وثيقاً بالمجتمع، إذ تكشف عن التحوّلات التي طرأت على المجتمع، من خلال بناء فنيّ أدبيّ قادر على التأثير في القارئ، ومن خلال شخصيات تتحرك؛ لتصنع الأحداث الروائية، وقد تكون هذه الشخصيات مستمدّة من الواقع، أو قد نجد شخصيات شبيهة لها في الحياة التي نعيشها، وهذا يمكّن الأديب من الكشف عن مجموعة من الأفكار والآراء، والمواقف والأحداث المختلفة؛ ليجعل القارئ قادراً على طرح الأسئلة، والتفكير بما يحيط به ومحاولة فهمه، ما يؤثّر في وعيه، فيدرك القضايا من زوايا متعددة، وبالتالي يؤثّر في أيديولوجيته وثقافته.

وقد تفاعلت الرّواية الأردنيّة مع التحوّلات والتغيّرات التي طرأت على المجتمع، شأنها في ذلك شأن الرّواية العربيّة، وهذا أثّر في الرّواية الأردنيّة مضمونيّاً وفنيّاً، فقد لاحظ النّقاد الذين درسوا

*أستاذة في النقد والأدب الحديث محاضر غير متفرغ في الجامعة الأردنية

وتتبّعوا المراحل التي مرّت بها الرواية الأردنية، أنَّ بداية الرّواية كانت بسيطة، تعتمد رواية الأحداث بطريقة تقليديّة مرتَّبةً ترتيباً زمنيّاً، بعيداً عن الأسلوب الفنّيّ، فقد كان الرّوائيّ يتدخّل في سير الأحداث، ويُدخِلُ شيئاً من سيرته الذّاتية فيها أحياناً، لكنّ نقطة التّحوّل في الرّواية الأردنيّة بدأت بعد نكسة حزيران عام 1967م، حيث إنَّ الأحداث السّياسيّة جعلت الرّوائيين يدركون صلة الأدب بالواقع والأحداث؛ لذلك برزت أهمية الرّواية في قدرتها على التعبير عمّا يحدث في فلسطين، والآثار المترتّبة على ذلك.

من هنا بدأت الرّواية تعبّر عن صلتها بالتغيّرات التي تحدث في المجتمع العربيّ، ولم يكن التّغيّر في الرّواية مضمونيّاً فقط، وإنما طال التغيير البناء الفنّيّ فيها، ومن أهمّ هذه الروايات رواية: «أنت منذ اليوم» لتيسير سبول (1968)، أما في المراحل التالية لهذه المرحلة، فقد لاحظ النّقاد زيادةً واضحةً في عدد الرّوايات في الأردن، واهتمام الرّواية بالحديث عن القضايا والأحداث التي تحدث في المجتمع، كما أنَّها بدأت تهتمّ بالشّخصيّات الرّوائيّة، وتُظهر علاقتها الجدليّة بالواقع الذي تعيش فيه، وتكشف عن دواخل الشّخصيّات، وصراعها النّفسيّ والدّاخليّ، ممّا يجعل الرّواية تتطور فنيّاً.

وجمعت الكتابة الروائيّة في الأردن بين اتجاهين: اتجاه الكُتّاب التقليديّين، واتجاه الكتّاب الحداثيّين الذين جدّدوا في المضمون والشكل، وظهر هذا واضحاً في العقدين الثامن والتاسع من القرن العشرين، ومن أبرز هذه التجارب: تجربة مؤنس الرزاز، فقد كان يُعبّر عن واقعه محاولاً نقد هذا الواقع، ولم يكن أسلوبه أسلوباً تقليديّاً، بل كان قادراً على الكتابة بأسلوب فنيّ متميّز، ومن أبرز رواياته: «أحياء في البحر الميت» (1982)، و«اعترافات كاتم الصوت» (1986)، وغيرها.

وكذلك الروائي «زياد قاسم» صاحب رواية «أبناء القلعة» (1990) التي تحدَّثت عن تاريخ مدينة عمّان، ممّا يُظهر خصوصيّة المكان، وأهمية تعبير الرّواية عن البعد التّاريخيّ والزّمانيّ والمكانيّ للمدينة.

وقد اهتمّت الرواية الأردنيّة في هذه الحقبة بالحديث عن التّحوّلات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة، وتحدّثت عن قضايا المدينة وأسلوب الحياة فيها، يُضاف إلى ذلك أنَّ المرأة الأردنيّة شاركت في الكتابة الإبداعيّة في الأردن بصورة لافتة، ومن أبرز هذه التجارب الروائية «سميحة خريس» التي تحدّثت في رواياتها عن قضايا المرأة، وكشفت جزءاً من معاناتها، وتحدّثت عن التّحولات الاجتماعية في دور المرأة، وقد استفادت «سميحة خريس» في تجربتها الرّوائية من التاريخ، فكتبت الرواية التاريخية، مثل: رواية «شجرة الفهود» في جزئين (1995، 1997)، ورواية «يحيى» (2010).

وكذلك الروائيّة «ليلى الأطرش» التي ركّزت على حضور شخصية المرأة في رواياتها، مُتحدِّثةً عن واقع المرأة العربيّة، ومن أبرز الروايات التي يظهر فيها ذلك: رواية «وتشرق غرباً» (1988)، و«امرأة للفصول الخمسة» (1990)، وكذلك تحدَّثت في روايتها «رغبات ذاك الخريف» (2009)، عن التفجيرات الإرهابيّة التي حدثت في فنادق عمّان عام 2005م.

وهـذا يُثبِـتُ أنَّ الرّوايـة الأردنيّـة مـا زالـت قـادرة على مواكبـة الأحـداث والتغيّـرات في القـرن الحالـي، فقـد ظهـر إنتـاج روائـيّ كبيـر، وظهـر التّطـور واضحـاً في التّجـارب الرّوائيـة مضمونيّـاً وفنيّـاً، بحيـث اسـتطاعت الرّوايـة أن تتحـدّث عـن القضايـا المختلفـة، منهـا: الحديـث عـن القضيـة الفلسـطينية، ووصـف الأحـوال السياسـية والاجتماعيـة، ومـن أبـرز هـذه الروايـات: روايـة «رحيـل» للروائيـة جهـاد الرجبـي (2002)، وروايـة «عصفـور الشـمس» لفـاروق وادي (2006)، وروايـة «زمـن الخيـول البيضـاء» لإبراهيـم نصـر الله (2007)، وروايـة «غريـب النهـر» لجمـال ناجـي (2012)، وأشـارت بعـض الروايـات الأردنيّـة إلـى الاحتـلال الـذي وقـع على العـراق، ومـا حـدث مـن أعمـال إرهابيّـة فيهـا.

وتحدثت الرواية الأردنية أيضاً عن بعض الجوانب الاجتماعيّـة والسياسـيّة في فتـرة الربيـع العربـيّ، ومـن أبـرز هـذه الروايـات روايـة «موسـم الحوريـات» لجمـال ناجـي (2015)، التـي تحدّثـت عـن تداعيـات هـذه الثـورات، وطريقـة تفكيـر بعـض الفئـات فيهـا، ومحاولـة اسـتغلالها اسـتغلالاً سـلبيّاً، وكذلـك انتقـدت الرّوايـة التّفكيـر المتطـرّف الـذي يعتنقـه بعـض الأفـراد، ممّـا يجعلهـم يقتلـون النـاس دون سـبب، ويُبـرِّرون هـذا القتـل.

واهتمّـت الرّوايـة الأردنيّـة بالحديـث عـن الفروقـات بـين القريـة والمدينـة، واختـلاف نمـط الحيـاة في كلّ واحـدة منهمـا، وكيـف اسـتطاعت المدينـة أن تؤثّـر وتُغيّـر في القريـة، حيـث زحفـت المظاهـر الحضاريّـة والتكنولوجيّـة مـن المدينـة إلـى القريـة، وهـذا يظهـر في روايـة «العتبـات» لمفلـح العـدوان (2013)، وكذلـك انتقـدت روايـة «أفاعـي النـار» لجـلال برجـس (2015) سـيطرة الأسـاطير والخرافـات علـى أهـل القريـة، وكيـف أثّـرت في ثقافتهـم وطريقـة تفكيرهـم، ممّـا انعكـس علـى حياتهـم.

وتظهـر الفروقـات أيضـاً في مجتمـع المدينـة، فنجـد الروايـة الأردنيـة تشـير إلـى الفـروق الطبقيّـة بـين النـاس في هـذا المجتمـع، ومـن هـذه الروايـات: روايـة «الشـهبندر» لهاشـم غرايبـة (2003) التـي تحدَّثـت عـن الفـرق بـين طبقـة التجـار وطبقـات المجتمـع الأخـرى، وروايـة «شـرفة الفـردوس» لإبراهيـم نصـر الله (2014) مـن خـلال الحديـث عـن عمـارة تتكوّن من طوابـق، فأصحـاب السـلطة يسـكنون الطوابـق العليـا، بينمـا تسـكن الفئـات الأخـرى في الطوابـق السـفليّة تحـت الأرض، ممّـا يجعـل الروايـة تنطـوي علـى بعـد رمـزيّ، وتكشـف عـن الصـراع بـين الطبقـات.

يُضـاف إلـى ذلـك اهتمـام الروايـة بالبعـد الفلسـفيّ والوجـوديّ، ومـن الروايـات التـي تحدَّثـت عـن هـذا البعـد: روايـة «أعالـي الخـوف» لهـزاع البـراري (2014) التـي تُظهـر حيـرة الشـخصيات، ممّـا يـؤدّي إلـى طـرح أسـئلة لا تجـد لهـا إجابـات أحيانـاً، فتحـاول الوقـوف عندهـا وتفسـيرها، أو تتحـاور حولهـا، فيظهـر اختـلاف تفكيـر الشـخصيات، وقـد ينشـأ بينهـا صـراع أيديولوجـيّ يُظهـر لديهـا فجـوةً بـين الواقـع الـذي تعيشـه وقدرتهـا علـى تحقيـق ذواتهـا، والوصـول إلـى تحقيـق مـا تريـد.

وللبـراري روايـة أخـرى هـي «تـراب الغريـب» (2007) التـي تحدَّثـت عـن الحيـاة والمـوت، فضـلاً

عن رواية «حانة فوق التراب» لقاسم توفيق (2015) التي يظهر فيها الجانب الفلسفي، فالشخصيات في الرواية تبحث عن ذاتها وأسباب وجودها، وتكشف عن رؤيتها للحياة، وكذلك رواية «ميرا» (2018) التي تُظهر أزمة الفرد مع الحياة، وعدم قدرته على التكيّف معها، فتنبثق عند الشخصيات أسئلة تتعلّق بمصيرهم ووجودهم، وكذلك رواية «أبناء السماء» ليحيى القيسي (2010) التي تبحث الشخصيات فيها عن معنى الحياة، وكيف يمكن للإنسان أن يفكّر ليصل إلى الحقيقة، وذلك من خلال إدراك التنظيم الذي يسير عليه الكون.

وجاءت رواية «أبناء الريح» لليلى الأطرش (2012)؛ لتظهر ما يعانيه أبناء دور رعاية الأيتام من مشكلات في حياتهم في مرحلتي الطفولة والشباب، ممّا يؤثّر في تكوين شخصياتهم، إلى جانب معاناتهم من نظرة المجتمع السلبيّة لهم.

أمّا البعد الفنّيّ فقد كان متجدّداً ومتطوّراً دائماً، وذلك بدافع التغيّرات في المضمون، فظهرت تقنية تعدّد الأصوات التي تسمح للشخصيات بالحديث عن نفسها وعمّن حولها من الشخصيات دون وسيط، وهذا ساعد الشّخصيّات في التعبير عن واقعها بصورة أكثر وضوحاً وأكثر جديّة، وهذه التّقنيّة وظّفها الرّوائيّون العرب في رواياتهم، وظهرت كذلك في روايات متعددة في الأردن، كروايتي: «عندما تشيخ الذئاب» (2008)، و«موسم الحوريات» (2015) لجمال ناجي، وروايتي: «أبناء الريح» (2012)، و«مرافئ الوهم» (2005) لليلى الأطرش، ورواية «دفاتر الطوفان» لسميحة خريس (2003)، وغيرها.

ويمكن الحديث عن توظيف التراث في الرّواية الأردنيّة، مثل: رواية «التميمة السوداء» لحسام الرشيد (2009)، ويضاف إلى ذلك الاهتمام بالبعد النّفسيّ في الرّواية الذي أدّى إلى توظيف تِقنيّة المونولوج الداخليّ في روايات متعددة؛ لتُعبِّرَ الشخصيات عن ذاتها، وعن الصّراع الداخليّ الذي تعيشه، مثل: رواية «تلك الطرق» لعدي مدانات (2008)، ورواية «الصحن» لسميحة خريس (2003)؛ وذلك لسبر أغوار الشّخصيّة الرّوائيّة، وجعل الشّخصيّة تكشف عن ذاتها وتتحدّث عن مشاعرها، كما نجد في بعض الروايات السرد العجائبيّ، كما في رواية «نزلاء العتمة» لزياد محافظة (2014)، فقد كانت أحداث الرواية تجري في عالَم الأموات.

ممّا سبق تظهر صلة الرواية الأردنيّة بالواقع والتغيّرات التي حدثت في الأردن بشكل خاص، والوطن العربي بشكل عام، ممّا أدّى إلى أن تجد الرّواية الأردنيّة مكانها عربيّاً، وتحظى باهتمام القارئ العربيّ والنّقّاد العرب، فالرّواية الأردنيّة هي جزء لا يتجزأ من الرّواية العربيّة [1].

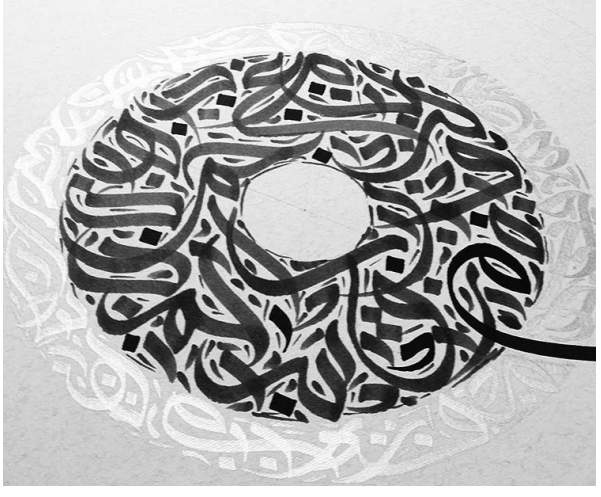

1 – للمزيد انظر: معالي، حنين (2020)، الرواية بين الأيديولوجيا والفن (الرواية الأردنية أنموذجاً)، دار الآن ناشرون، عمّان.

الرواية الأردنيّة في مصر.. من غالب هلسا إلى جلال برجس

نـورا نـاجـي*

في يوم 25 مايو من عام 2021، أعلنت لجنة الجائزة العالَميّة للرواية العربيّة (البوكر) فوز الكاتب الأردني جلال برجس عن روايته «دفاتر الورّاق»، الأمر الذي عُدّ انتصاراً ليس للأردن فقط، بل لمصر أيضاً، التي دعمت جلال برجس فور وصوله إلى القائمة القصيرة، وقد خلت القائمة من أيّ منافسين مصريّين، واعتبرت مصر بشكل ما أنَّ مرشحها في القائمة هو برجس، بعد الحفاوة التي قوبلت بها الرواية، والقراءة الواسعة التي نالتها بين القُرّاء.

وفي يوم 9 يوليو 2021، أقامت مكتبة تنمية في مصر ندوة للأستاذ جلال برجس عقب فوزه بالبوكر، واحتفالاً بإطلاق الطبعة المصرية من الرواية، يُمكننا أن نقول في هذه الليلة اختفت الحدود وتلاشت الجنسيات، الاحتفاء برواية «دفاتر الورّاق» تجاوز مسألة فوزها بأهمّ جائزة عربيّة، بل كانت تعليقات الحضور متمركزة أكثر على النصّ، هذه حكاية يمكن أن تحدث في أيّ بلد عربيّ، إنَّها عن أزمة الإنسان بشكل عام، بدت الوجوه في الرواية مألوفة، الشوارع، البيوت، القهر، الظلم، المعاناة...

*روائيّة وكاتبة من مصر

كلّها واحدة، نجح الأدب في أن يُلغي الجغرافيا والاختلافات والتصنيفات، لا يُصنَّفُ الأدب سوى بما يتركه داخل الأنفس من شجن أو فرح، وما يطرحه من أسئلة، أو يمنحه من إجابات.

وبالرغم من أنَّ الكاتب جلال برجس صاحب مشوار أدبيّ طويل بين الشعر والرواية والقصة، فإنَّ ترشّحه لجائزة البوكر كان عاملاً أساسيّاً في كسر الحدود الجغرافية والوصول للدول العربية الأخرى، ومن بينها مصر التي تملك قاعدة قرّاء كبيرة، بالذات من جيل الشباب، تماماً كما حدث قبل ذلك مع الكاتب إبراهيم نصر الله، وحتى الشاعر والكاتب أمجد ناصر، الذي بالرغم من شهرته في الأوساط الثقافيّة المصريّة صحفيّاً وشاعراً، فإنَّه لم يُعرَفْ بشكل كبير كروائيّ بين القرّاء المصريين إلّا بعد ترشّحه لنفس الجائزة عام 2018.

يمكننا أن نقول إنَّ الجوائز العربيّة والعالَميّة صارت عاملاً مهماً في كسر الحواجز التي تعيق وصول الأدب بين دولة وأخرى، وعلى الرغم من أنَّ الأدب عابر للحدود، وأنَّ العالَم الشاسع صار ضيّقاً في عصر السوشال ميديا، فإنَّ ثمّة عوامل أخرى لا تزال عائقاً بين حلم انهيار هذه الحدود أو التصنيفات، والتعامل مع الكُتّاب خارج مصر كأنَّهم من عالَم آخر بعيد أو غير حقيقي، أهمّها هو ارتفاع سعر الكتب الأجنبية بسبب المصاريف الجمركيّة، وصعوبة وصولها إلى مصر، فلا يحظى القُرّاء بفرصة الاطلاع عليها أو اقتنائها إلّا في معرض القاهرة الدوليّ للكتاب بداية كلّ عام.

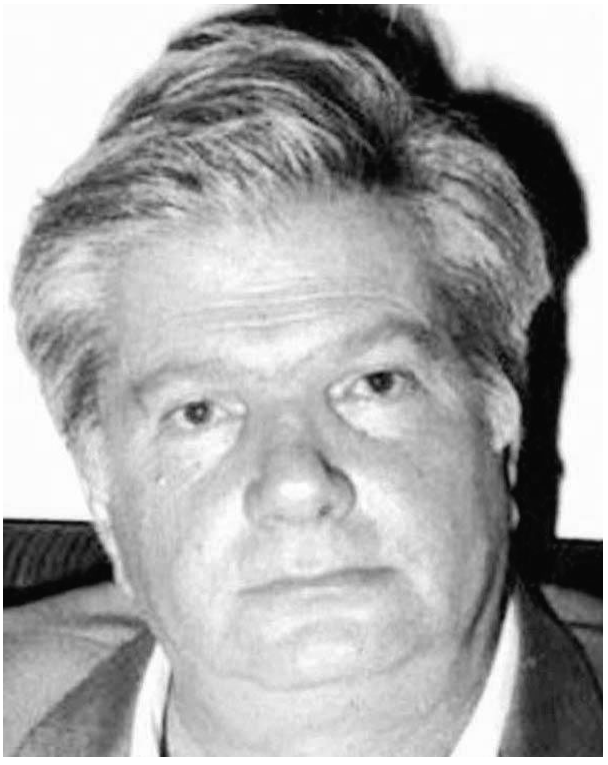

غالب هلسا

هل القارئ المصريّ منغلق على نفسه؟

في مصر يُمكننا أن نقول إنَّ عالم القراءة لدى بعض الفئات العمريّة ما يزال منغلقاً على نوعيّات بعينها لا تتجاوز حدود المكان ولا الزمان، قرّاء يُفضِّلون الروايات المصريّة الرومانسيّة أو المُشوِّقة، ربما حتى التي تغلب عليها العاميّة المصريّة أكثر من الفصحى، يساعدهم انتشار توزيع هذه الروايات والكتب بشكل كبير، وانخفاض أسعارها، ويُمكننا أن ندرج أيضاً سهولة تزويرها أو تسرّبها كنسخ رقميّة على شبكة الإنترنت، بعكس الكتب الصادرة من دور النشر الكبرى المصريّة أو العربيّة، التي تحرص على حماية منتجها لأطول فترة ممكنة، وعلى طباعته بصورة لائقة تسبّب ارتفاع سعرها.

العامل الآخر هو انتشار مجموعات ونوادي القراءة المصريّة المنغلقة نوعاً على الأدب المصريّ

بالـذات، والقـارئ المصـري يحـبّ التواصـل مـع كاتبـه المفضَّـل، وعقـد لقـاءات او مقابـلات معـه، أو حتـى التفاعـل معـه عبـر المنشـورات والتعليقـات، ونـادراً مـا نـرى ترشـيحاً لكاتـب عربـيّ علـى هـذه المجموعـات إلّا في حـالات خاصـة، مثـل انتمـاء الروايـة إلـى أدب البـوب آرت أو الرومانسـي، أو وصولهـا لقوائـم الجوائـز العربيـة الكبـرى كمـا في حالـة «حـرب الكلـب الثانيـة» لإبراهيـم نصـر الله 2018، و«شـمس بيضـاء بـاردة» لكفـى الزعبـي 2019، و«دفاتـر الـورّاق» لجـلال برجـس 2021.

لـم يكـن الأمـر بهـذا الشـكل طـوال الوقـت، بـل يمكننـا أن نقـول إنَّـه أصبـح كذلـك منـذ بدايـة الانطلاقـة الكبـرى للروايـة في مصـر أوائـل الألفيّـة، وبعـد ظهـور كُتّـاب مثـل عـلاء الأسـواني وأحمـد مـراد، اللذيـن سـاهما في زيـادة قاعـدة القـرّاء بشـكل كبيـر، لكنَّهمـا أيضـاً دفعـا بهـم – دون قصـد – نحـو فئـة بعينهـا مـن الروايـات والكتـب لـم يتمكّـن معظمهـم مـن الخـروج عنهـا، قبـل ذلـك كانـت الظـروف ربمـا أكثـر محدوديّـة، بـل يمكـن أن نقـول إنَّهـا كانـت نخبويّـة، لذلـك تواجـد الأدب الأردنّـي بشـكل ملحـوظ في النشـرات الثقافيّـة والمجـلات المطبوعـة التـي كانـت تصـدر في ذلـك الحـين، ولعـلَّ إليـاس فركـوح وأمجـد ناصـر همـا المثـالان الواضحـان علـى ذلـك.

غالب هلسا مؤسِّس التيار الثقافيّ الجديد في مصر

لـو عدنـا إلـى زمـن أبعـد، مثـل السـتينيات في مصـر، الحقبـة الأغنـى أدبيّـاً بالرغـم مـن إخفاقاتهـا السياسـيّة ومـرارة الحـرب والنكسـة، لوجدنـا أنَّ القاهـرة كانـت بمثابـة وجهـة دائمـة للكُتّـاب العـرب، الذيـن اندمجـوا في المجتمـع الثقـافيّ حتـى النخـاع، والمثـال الأوضـح هـو الكاتـب الأردنـي غالـب هلسـا، الـذي لـم يندمـج فقـط في القاهـرة حتـى صـار كأنَّـه واحـد مـن أبنائهـا، بـل تـرك أيضـاً بصمـة واضحـة في تاريخهـا الثقـافيّ، وكان واحـداً مـن أهـمّ أدبـاء السـتينيّات في مصـر مـع مُعاصريـه: بهـاء طاهـر، وإدوار الخـراط، وجميـل عطيـة، وإبراهيـم أصـلان، وإبراهيـم منصـور، وعـلاء الديـب، كمـا شـاركهم تحريـر مجلـة «غاليـري 68»، ولا يمكـن أن ننسـى إسـهاماته الكبيـرة في عالَـم الترجمـة ونقـل الثقافـات الأخـرى التـي بـدت مغريـةً وتقدّميّـةً في ذلـك الوقـت.

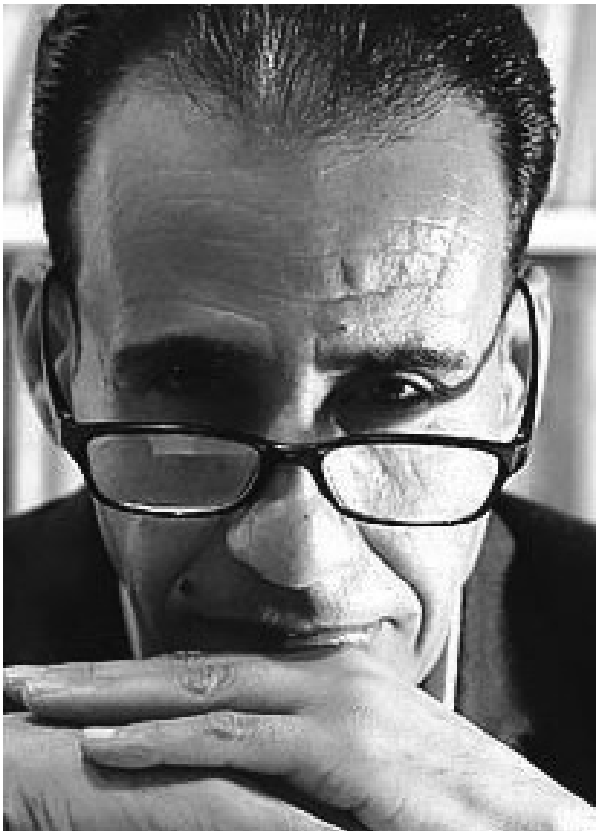

جلال برجس

يقـول الناقـد سـيد محمـود إنَّ غالـب هلسـا كان السـبب في تحـوّل العديـد مـن الكتّـاب المصريـين مـن

اتّباع طريقة أرنست هيمنجواي في الجمل الغامضة القصيرة، إلى أدب أكثر رحابة، يركّز على التعمّق داخل النفس البشريّة وطرح تساؤلاتها الكبرى، بعدما ترجم رواية «الحارس في حقل الشوفان» للروائي الأميركي ج. د. سالنجر، الرواية التي تعادل في تأثيرها أثر رواية «عوليس» لجميس جويس، وبفضلها تعرَّفَ الوسط الثقافيّ المصريّ على ما يسمّى بـ «أدب الغاضبين»، وكذلك ترجم هلسا كتاب في «جماليات المكان» لغاستون باشلار.

غالب هلسا الذي عاش في القاهرة، درس فيها وكتب عنها وسجن أيضاً في سجونها، دون أن يُفكِّر في استغلال جنسيته الأردنيّة للهرب من مصير مؤلم كالسجن، مات بعيداً عنها بعد ترحيله في عصر الرئيس السادات، لكنَّه لم يغادرها تماماً، وظلّت القاهرة تنضح من كتاباته ربما أكثر من أيّ بلد آخر، كما ظلّ هو بالنسبة للقاهرة واحداً من أبنائها ومؤثّريها.

الحدود الوهمية في عصور السوشال ميديا

ما يُلفت الانتباه هذا التناقض الكبير بين ذوبان الحدود بين البلاد العربية وتداول الأدب بشكل أكثر انفتاحاً في ستينيّات وسبعينيّات القرن الماضي، وبين تواجدها بهذا الشكل في عصر التواصل الاجتماعيّ في الألفية الجديدة، عصر الفيسبوك وتيليغرام والكيندل والكتب الإلكترونيّة، وحتى المواقع التي تتسابق في تسريب الروايات الجديدة، ولعلَّ الأسباب التي ذكرناها سابقاً هي السبب في ذلك.

والتغلّب عليها ليس مستحيلاً، بالذات بعد أن بدأت دور النشر المصريّة في التسابق للاستحواذ على الروايات العربية الرائجة وطبعها في مصر في ما يُعرَفُ «بالطبعات المصرية»، كما حدث مع «حرب الكلب الثانية»، و«دفاتر الورّاق»، و«أفاعي النار»، الأمر الذي يسمح بتواجدها المستمرّ في المكتبات المصريّة، وبأسعار تناسب معظم الفئات.

على كلّ الأحوال، سواء بوجود الجوائز أو عدم وجودها، إلغاء الحدود بين الدول العربيّة، ولو على الصعيد الأدبيّ فقط، كبديل لحلم وحدة لن يتحقّق، هو ما يجب أن يحدث، ولا يعني هذا الابتعاد عن التعبير عن المشكلات المحليّة لكلّ بلد، أو الانشغال بكتابة روايات تصلح للجميع، على العكس أحياناً ما يكون الإغراق في المحليّة هو السبيل لإلغاء الحدود؛ لأنَّه في النهاية الكتابة الصادقة تصل دائماً إلى القلوب مهما اختلفت الجنسيات والأيدولوجيات والخلفيات الثقافية، ومهما تباعدت المسافات.

عن الرواية الأردنيّة في سياق عربيّ، كما رأيتها من نافذة عوالمي

هيا صالح*

ربما لا أستطيع الولوج إلى الحديث حول الرواية محليّاً وعربيّاً إلّا من خلال تجربتي الشخصيّة، إذ طالما كنت عندما أكتبُ أبتعدُ عن الخارجِ وأغرقُ في ذاتي: أعماقي، ودواخلي، وهواجسي، وخيالاتي. في المقابل كلُّ واحدٍ منّا لديه قواسمُ مشتركة مع الآخرين في بقاع الأرض، ويمكنُ القولُ إنَّ كلَّ ذاتٍ هي عبارةٌ عن مخزنٍ فيه الكثيرُ من الأفكار والمشاعر والإبداعات، التي ليس بالضرورة أن تخصّ هذه الذاتَ وحدَها، والروائيون على تنوّعهم واختلاف ذواتهم تجمعهم بِنى الرواية.

الكتابة الروائيّة فعل شاقّ، فهل للكاتب علاقة أساسيّة بانتشار روايته؟ بدايةً قال همنغواي: إنَّ «الكتابة ليست أمراً صعباً، كلّ ما عليك فعله هو أن تجلس أمام الآلة الكاتبة وتبدأ بالنزيف». لكن رغم هذا الألم فالكتابة تحقّق لك متعة لا حدَّ لها، إذ هي قادرة على سحبك من عالَمِك الواقعيّ لتهوي

*كاتبة من الأردن

بك في دهاليز من الخيال، فترى نفسك تغوص في أعماق أعماقك، وتتفاعل مع شخصياتك، سواء عبر الالتقاء الافتراضيّ بها، أو محاورتها والتعرّف إليها، أو الاستمتاع بصحبتها، لذا أعتقد أنَّ فعل الكتابة هو في حقيقته حالة من التدفّق الذهنيّ والارتحال الروحانيّ عبر عوالم تشبه الواقع تماماً، ولا تشبهه بتاتاً في الآن ذاته، ولعلّ أحد أهمّ أسباب قرب الرواية من القارئ، سواء كان محليّاً أم عربيّاً، هو نجاح الرواية في نقل هذه الحالة إلى القارئ.

وقد أدركت ذلك لأنَّني خرجتُ في الأساس من عباءة النقد، فقد كان مشروعي الأساسيّ في النقد، منذ أن تخرّجت من الجامعة وفي رصيدي العديد من الدراسات النقديّة التي أجريتها بحكم متطلبات تخصصي في اللغة العربية وآدابها، أحببت النقد، وبدأت العمل على مشروع خاص بي أملته عليّ قراءاتي النقديّة المتنوّعة وقراءاتي في القصة والرواية، حيث نبَّهتني هذه القراءات إلى أهميّة دراسة تحوّلات الذات العربيّة وتمثّلاتها في القصة والرواية منذ بداية القرن العشرين وحتى بدايات القرن الحادي والعشرين، وبما يتلاءم مع التحوّلات التي عاشتها الذات العربيّة خلال تلك الفترة، التي كان الاستعمار بكلّ أشكاله عنواناً لمطلعها، ثم حدثت نكبة فلسطين التي غيَّرت مجرى تاريخ المنطقة وتطلّعاتها نحو الحرية والاستقلال تغييراً جذرياً، ثم ما تلا ذلك من حروب.

وفي مجال تحوّلات هذه الذات العربيّة، قدَّمت كتابي الأول «الخروج إلى الذات»، وهو ما يشير كذلك إلى أنَّ الروايات المحليّة والعربيّة تناولت هموماً مشتركة تخصّ العديد من القضايا العربيّة والإنسانيّة على المستويات الاجتماعيّة، ولم تخلُ الرواية الأردنيّة من هذه الهموم.

وقد نبَّهني النقد أيضاً إلى أهمية العلاقة بين الكاتب والقارئ والمتن بوصفه وسيطاً بينهما، ودور ذلك في انتشار الرواية بين القُرّاء، وقمت بدراسة تشريحيّة لحدود كلّ طرف من أطراف هذه العلاقة، ومدى تأثيرها وتأثّرها ببعضها بعضاً، فالكاتب حينما يُنجِزُ نصَّه يُفكِّرُ ضمنياً بالقارئ وبالكيفيّة التي سيتلقّى بها هذا النصّ، والقارئ من ناحيته قادر على ملء الفراغات التي يتركها الكاتب في النصّ وعلى كشف أسراره وخباياه، وبقدر ما يترك الكاتب للقارئ مجالاً للإبحار في النصّ وسبر أغواره، بقدر ما يتفاعل القارئ، سواء كان محليّاً أم عربيّاً مع النص وينفعل به.

هذا التوازن بين العناصر الثلاثة ضروريّ جداً لنجاح عملية التلقي، وأيّ خلل في طرف من الأطراف سيُحدِثُ خللاً في العمليّة برمّتها، وربما أنَّ عدم اعتناء الروائيّ – أو الكاتب عموماً – بهذه النظريّة، سيُحدث نقصاً في كتاباته أو في تلقّيها على حدّ سواء.

وكمثال على هذه الفكرة، أذكر روايتي الأولى «لون آخر للغروب»، الفائزة بجائزة كتارا للرواية العربيّة، وهي تدور ضمن أجواء فعل الكتابة، حيث قُسِّمت الرواية إلى قسمين: الأول يحكي عن قصة الكاتب «المُستأجَر» الذي يكتب روايات توسَمُ باسم آخرين غيره، والجزء الثاني عن طبيعة الرواية التي يكتبها ذلك الكاتب، وقد اخترتُ هذا الشكل الروائيّ

الـذي يمكـن القـول إنَّـه روايـة داخـل روايـة؛ لأتنـاول مـن خلالـه الكيفيّـة التـي تتفاعـل بهـا أطـراف عمليّـة التلقّـي للمنتـج الأدبـيّ، وبيـان التشـابكات بـين هـذه العناصـر التـي تجعـل مـن عمليتـي الكتابـة والقـراءة نسـيجاً واحـداً متكامـلاً يؤثّـر في انتشـار الروايـات.

وبخصـوص السـياق العربـيّ أتابـع الإصـدارات الجديـدة في الروايـة العربيّـة، وأركِّـز علـى قـراءة الروايـات التـي تحتـلّ الصـدارة، سـواء في انتشـارها بـين فئـات القـرّاء أو لفوزهـا بجائـزة عربيـة أو دوليّـة، أظـنّ أنَّ هـذه الأمـور تُمثِّـل بوصلـة للقـراءة في ظـلّ الزخـم الكمّـيّ في إصـدارات الروايـة، وإن كنـتُ أيضـاً أقـرأ مـا ترشِّـحه مجموعـات القـراءات هنـا وهنـاك، وهـذا يعنـي ربمـا أنَّ انتشـار الروايـة محليّـاً أو عربيّـاً، مرهـون بمـا ذكرتـه آنفـاً عـن دور الجوائـز والانتشـار، ووسـائل التواصـل الاجتماعـيّ، والتطـور الرقمـيّ في تحديـد اختيـارات القـارئ، وفي مـدى وصـول روايـة معينـة إلـى القـرّاء دونـاً عـن غيرهـا.

أيضـاً بـدأت العديـد مـن دور النشـر تعمـل بجـد علـى نشـر الروايـة العربيّـة، وبدأنـا نـرى العديـد مـن الإصـدارات التـي تناسـب في مضمونهـا وإخراجهـا وأساليبها التِّقنِيَّة تطلّعات القارئ، وتُلبّي احتياجاته وتلامس عالَمه وتعبّر عن واقعه، كما خُصِّصت جوائز رفيعة للرواية العربية، ساهمت في تكريم الإنتاجات الأدبيّة وتشجيعها، وفي نشر النتاج الأدبيّ لشريحة أكبر من القرّاء، بخاصة في مجتمعاتنا التي تعاني من «أميّة القراءة» بالنظر إلى القطيعة بينها وبين الكتاب.

يُضـاف إلـى ذلـك مـا توفِّـره الجوائـز العربيّـة مـن نشـر للروايـات ومـن لقـاءات ثقافيّـة، ومـا تديـره مـن نقاشـات، ومـا تسـتضيفه مـن فعاليـات لهـا دور مهـمّ في تقويـة التعايـش الثقـافيّ بـين شـعوب العالـم، وربمـا في عمليـة تطويـر القـراءة والكتابـة والاطـلاع علـى تجـارب متنوعـة، وكمـا هـو معـروف تُسـهِمُ الجائـزة في التعريـف بالروائيـين والنقّـاد العـرب، وإبـراز الـدور الحضـاريّ البنّـاء الـذي يقومـون بـه لإثـراء الثقافـة العربيّـة بخاصـة والعالميّـة بعامـة.

شـخصياً أفادنـي حصولـي علـى جائـزة كتـارا بنشـر روايتـي علـى نطـاق عربـيّ ودولـيّ، فبالإضافـة إلـى صـدور نسـختها العربيّـة تـمّت ترجمتهـا إلـى اللغـة الإنجليزيّـة، ونُشِـرَت صوتيّـاً عبـر تطبيـق «مشـوار وروايـة» الخـاص بالجائـزة، كذلـك وصلـت للنقّـاد الذيـن تناولوهـا بالدراسـة والتحليـل، وللقـرّاء الذيـن حصلـوا علـى نسـخة منهـا، سـواء خـلال مشـاركة دار كتـارا للنشـر والتوزيـع في المعـارض، أو مـن خـلال الـدار نفسـها، ومنهـم مـن اسـتمع إليهـا عبـر التطبيـق الصوتـيّ، وكنـت ممتنـة للتعليقـات التـي كانـت تصلنـي تباعـاً وتؤكّـد ردود الفعـل الإيجابيّـة علـى الروايـة.

كمـا كشـف ذلـك عـن أهميـة التكنولوجيـا والتشـجيع والترجمـة في إيصـال الروايـات المحليّـة إلـى آفـاق عربيّـة وعالميّـة أوسـع، وأعتقـد أيضـاً أنَّ فـوزي بتلـك الجائـزة إلـى جانـب روائيـين أردنيـين مبدعـين حصلـوا علـى جوائـز عربيّـة مختلفـة، يُعَـدّ إنجـازاً مسـتحقاً للروايـة الأردنيّـة التـي بـدأت تبـرز علـى السـاحة العربيـة بقـوة رغـم التحديـات، ومـن المعلـوم أنَّ وزارة الثقافـة تُبـدي اهتمامـاً متزايـداً بدعـم نشـر الكتـب،

حروفية الفنان: إبراهيم أبو طوق/ الأردن

وبخاصة في حقل الرواية، كما تُخصِّص ضمن جوائزها وملتقياتها مساحة لا بأس بها للتعريف بالمُنجَزِ الروائيّ الأردنيّ.

وأعتقد أنَّ الصعوبات التي يواجهها نشر الرواية الأردنيّة وإيصال صوتها عربيّاً، هي ذات الصعوبات التي تواجهها أيّ رواية في دولة عربية أخرى، فثمّة دائماً فجوة بين النقد والرواية، حيث إنَّ مركب النقد غير قادر على مواكبة التقنيات الجديدة والمتجدّدة في كتابة الرواية، إضافة إلى أسباب تتعلّق بطبيعة الوسط الثقافيّ العربيّ، وطبيعة القرّاء فيه أيضاً، وربما ضعف أداء غالبية المؤسّسات الثقافيّة، سواء لشحّ في موازناتها، أو لخللٍ في تشريعاتها وسياساتها، أو لغياب رؤية تقدميّة تنظر للثقافة بوصفها استثماراً يمكن من خلاله دفع عجلة التنمية الاجتماعيّة والاقتصاديّة للأمام.

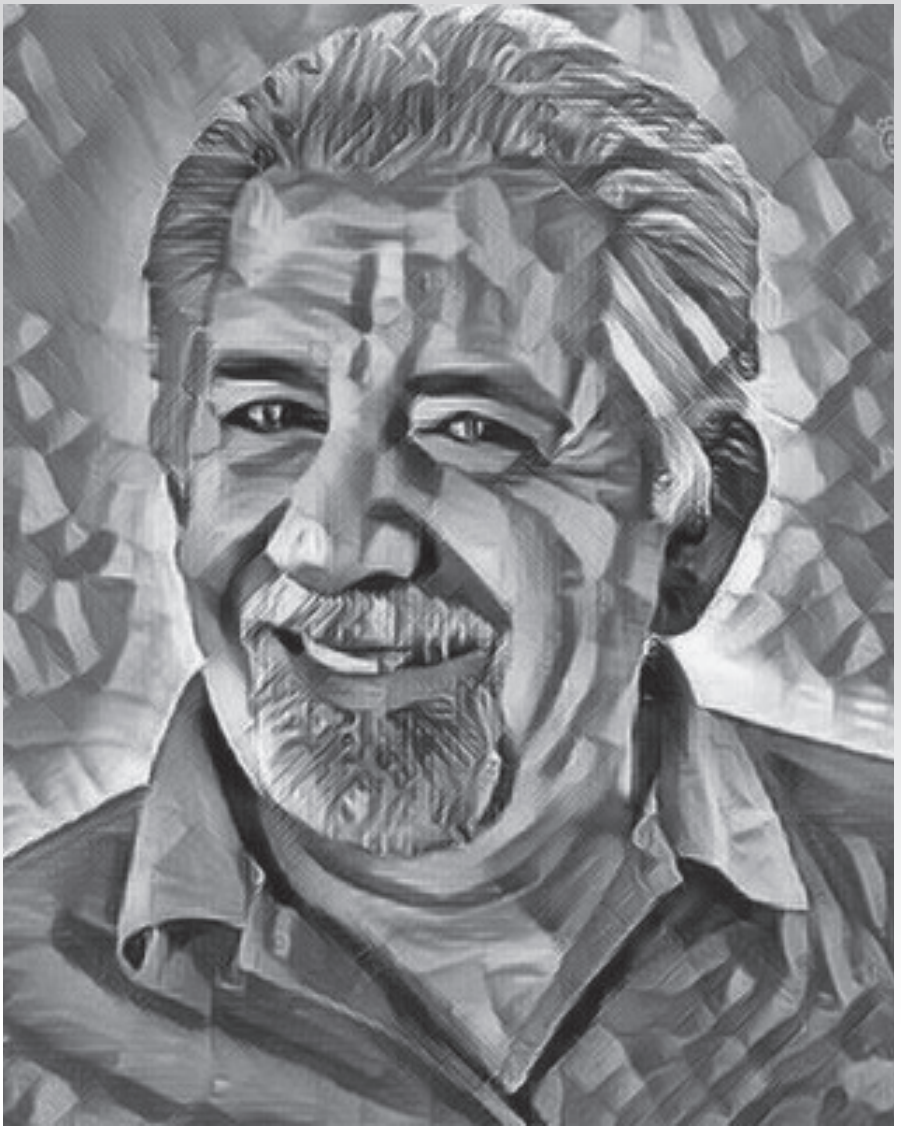

يوسف غيشان

يوسف الساخر

أحاور في هذا العدد الكاتب الكبير يوسف غيشان، إنّهُ الاسم الذي يحمل في داخله أسماء المُهمَّشين والكادحين والمظلومين، الذين فقدوا أصواتهم ليقولَ كلّ الذي يريدون قوله في كتاباته الساخرة، وإنّه الشاعر أيضاً الذي يُقلقُهُ حتّى ظلّ الزهرة المُلقى على الأرض من دون أن يكترث لأمره العالَم. في هذا الحوار نقترب من يوسف غيشان، في مسارٍ تلتقي فيه حداثة تجربتي بعمق تجربته، فنلقي الضوء على طرائق تفكيره، وعلى جوانب من ثقافته وحياته، وكيف يعيش كاتب مثله يرى الحياة من منظار ساخر.

حاورته: نور رواشدة

السؤال الأول:

- متى بدأت رحلتك مع الأدب الساخر؟

- يمكنني القول – بدون ثقة – إنّني ولدت ساخراً، مثل غيري من أبناء الريف الأردنيّ المُثقَل بالبؤس والإهمال والفقر (طبعاً)، فكان لا بد من السخرية حتى نستعيد التوازن ونواجه الواقع المُرّ دون أن ننحرف أو نصاب بالجنون، كانت السخرية أول مانعة صواعق يستخدمها الإنسان لمواجهة التحدّيات.

أعطيكِ مثلاً:

- خلال طفولتي وفي أحد الأعياد، رفض أخي نبيل النهوض من فراشه؛ لأنَّه كان غاضباً، فلم تستطع أمي تحقيق أمنيته في الحصول على بنطلون (من البالة طبعاً)، ولمّا جاء جارنا للمباركة بالعيد، سأل عن سبب بقاء نبيل في الفراش، فادَّعت أمّي بأنَّه مريض، فسأل الرجل عن نوع مرضه، سكتت أمي، لكنّني قلت على الفور: «بنطلونه بوجعه».

مثل هذه السخرية تحوَّلت حرفيّاً في ما بعد إلى نصوص ساخرة، أقصد أنّني في الكتابة الساخرة قمتُ بتوظيف هذا الإرث الساخر، وحوَّلته من مجرد (مجاقمات وثرثرات ريفيّة) إلى كتابة ساخرة، أو على الأقل حاولتُ ذلك.

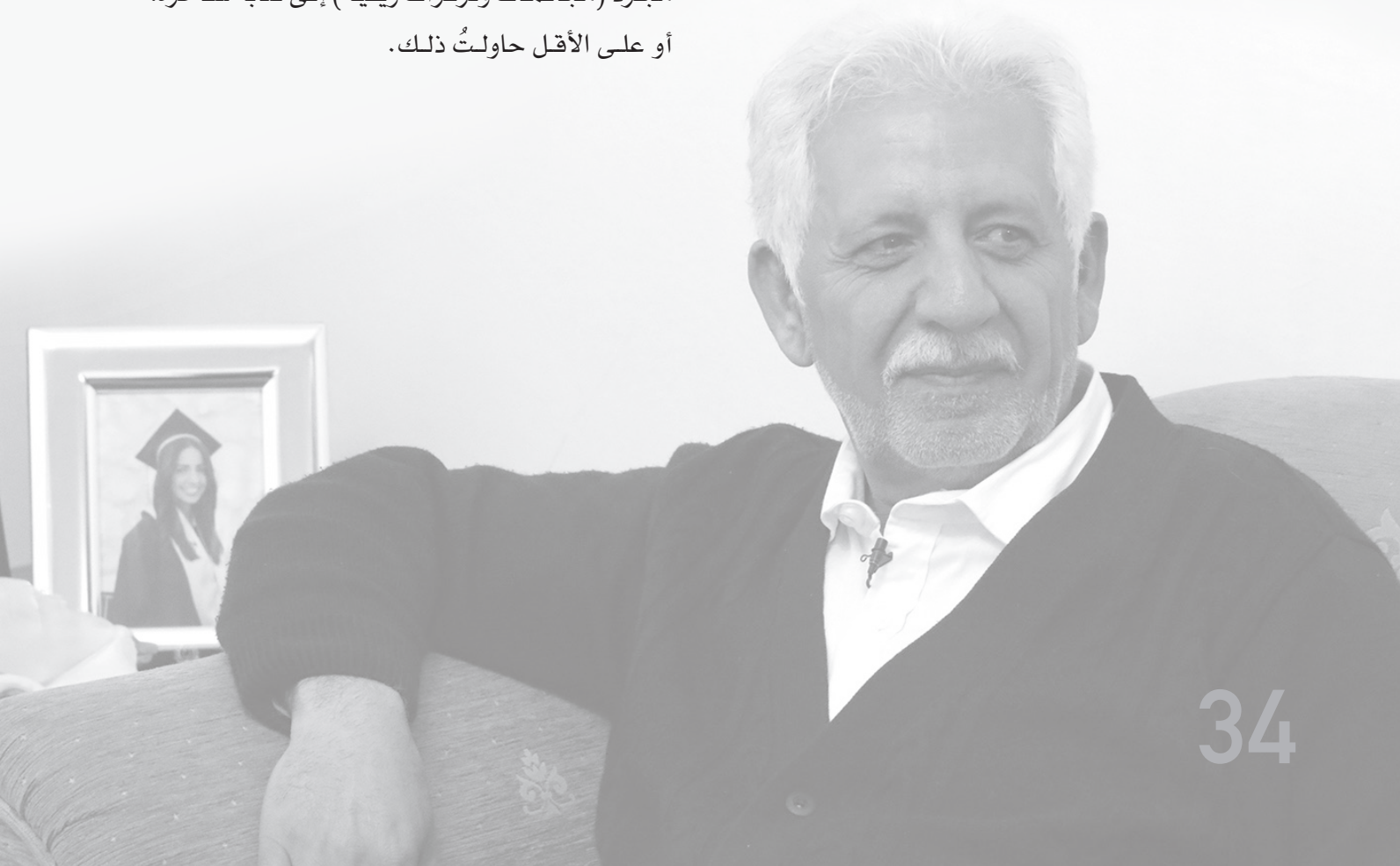

بدأت بالكتابة الساخرة المنتظمة في الربع الثاني من عام 1990، في صحيفة حزبيّة تدعى (المسيرة)، تابعة لحزب ناشئ انشقّ عن حزب الشعب الديمقراطيّ، بالمناسبة كنتُ موظّفاً لم أكن متحزِّباً، ثم انتقلت منها إلى صحيفة شيحان، ثم مجلة (الأفق الجديد)، وبدأت المسيرة.

السؤال الثاني:

- معظم كتّاب الأدب الساخر لهم تجارب صعبة مع الحزن، وعاشوا في بيئات قاسية ومؤلمة، فأرادوا الانتصار على الحزن والقسوة بنقد الواقع من خلال الكتابة الساخرة، وَفْقَ إحصائيّات عالَميّة منشورة، هل تعتقد أنّ هذا الأمر ضروريّ ليكون الكاتب قريباً ومُصدَّقاً من الشارع؟ وماذا عن تجربتك أنت؟

قد يساعد الحزن والبؤس والفقر والمرض على إنتاج الساخرين، لكنَّ الكتابة الساخرة في الأصل هي موهبة وصنعة معاً، وهي مُنجَزٌ يحتاج إلى جهد كبير يبذله الساخر لتحويل هذه السخرية إلى نصوص مبدعة.

يعني أنَّ الساخر الحديث غير مضطرّ إلى خوض تجربة الفقر والمعاناة، يكفيه أن يكون إنساناً يمتلك موهبة ويتعب على نفسه ويصقل موهبته بالقراءة والاطّلاع على تجارب الآخرين، وتوسيع المدارك في كلّ المجالات.

بالنسبة لتصديق الساخر، هذا الأمر خارج السياق، المهم أن يكون الساخر صادقاً مع نفسه ومع الآخرين، ويُنتج نصوصاً يفهمها الشارع ويتفاعل معها، ويجد نفسه فيها، بالنسبة لي، كما أسلفتِ في السؤال السابق، فقد عانيتُ من الفقر، واستثمرت ذلك في التسامي عليه بالسخرية منه ومن كلّ الأشياء القبيحة في العالم، وفيّ شخصيّاً أيضاً.

السؤال الثالث:

- لا بدَّ أنَّ الكتابة الساخرة قد أوقعت «يوسف غيشان» في ورطات، وأعتقد أنّها ضريبة لا بدّ منها، حدّثنا تحديداً عن أقرب تلك الورطات إلى قلبك.

- فعلاً.. إنّي أتعامل مع ما يحصل لي على أنَّه مجرد مضاعفات من الممكن أن تحدث، مثل الكهربجي الذي قد تصعقه الكهرباء، والبنشرجي الذي قد يصل الـ(جك) إلى وجهه، والممرضة التي قد تصاب بالعدوى، وقد تعرَّضتُ أكثر من مرة إلى الاعتقال والسجن، وحلق شعر الرأس في الجويدة، والتسكّع بين (النظارات)، والفصل من العمل، ومرة

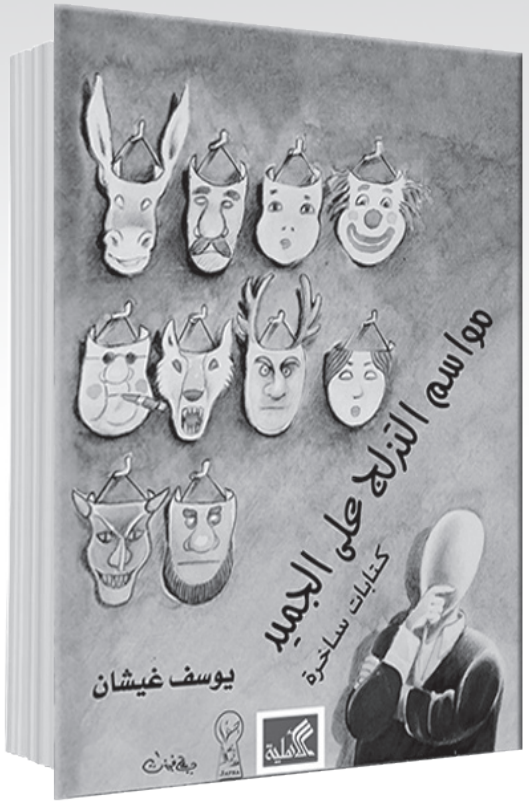

واحدة للضرب، في الواقع ليس هناك ورطة أقرب إلى الأخرى منّي، فكلّها بناتي.

السؤال الرابع:

- القلق عامل من العوامل المشتركة بين كتابة الشعر وكتابة المقال الساخر، إن كنتَ توافقني الرأي، في أيٍّ حقلٍ من الحقلين يكون القلق عندك مُضاعفاً؟ وأيّ القلقين أحبّ إليك؟

- القلق بأنواعه يصاحب الكتابة بشكل عام، لكن في اعتقادي أنَّه يكون أكثر حدّة في الشعر (بصفتي شاعراً سابقاً)؛ لأنَّه يلتقط اللحظة ويحاول تحويلها من صورة إلى كتابة، وبالعكس في أجزاء من الثانية، بينما في النثر تتمّ إتاحة المجال أكثر في التعديل والتبديل والتجميل بعد كتابة النصّ.

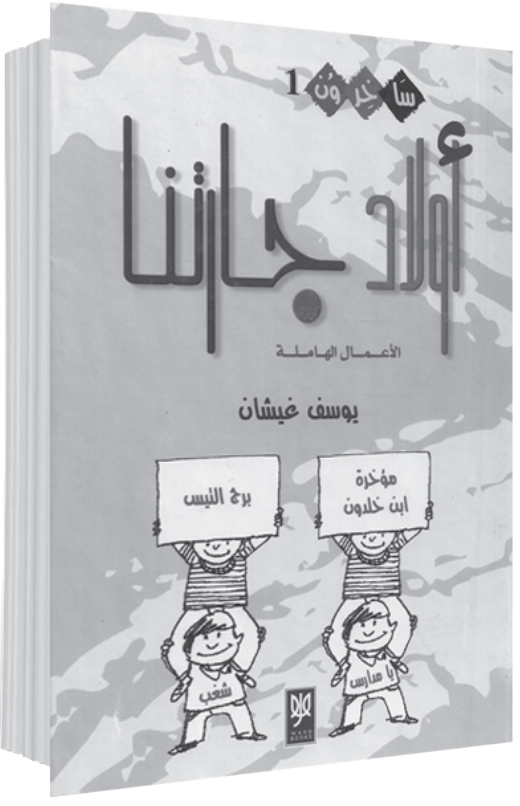

السؤال الخامس:

- تحدّيات جوانيّة عند يوسف غيشان لم يُفصح عنها بعد؟

- لديَّ مشروع رواية بدأت في كتابته قبل 8 سنوات تقريباً، لكنّي لم ألمسها من 3 سنوات، مع أنَّها تحتاج إلى قليل من الشغل، لكنَّ القلق الفنّيّ والوجوديّ المترتّب على العمل الروائيّ يُرهبني، فأنا لستُ روائياً في الأصل، لكنّي حاولتُ تحويل حياتي كمتوالية قصصيّة إلى رواية بدون أبطال، البطل الفعليّ هو الناس جميعاً.

السؤال السادس:

- يتعرّض الكاتب الساخر للعديد من المواقف الطريفة، سواء كانت مع المعارف، أو دائرة القرّاء، أو المؤسسات، حدِّثنا عن موقف لم ولن تنساه.

- أذكر عندما أصدرتُ كتابي الساخر (مؤخِّرة ابن خلدون)، وذكرتُ في أوله بشكل ساخر أنّي وجدتُ مخطوطاً قديماً لابن خلدون، وأنَّني استعنتُ به لتأليف هذا الكتاب، اتصل بي عن طريق البريد الإلكترونيّ أكاديميّ تونسيّ، يرجوني أن أرسل له صورة عن هذا المخطوط؛ لأنّه يُعِدّ رسالة دكتوراة عن ابن خلدون، فاعتذرتُ منه بأنّي لا أملك مثل هذا المخطوط الذي ليس له وجود أصلاً، إنّما لاعتبارات الكتابة الساخرة ابتكرتُ هذه القصة، فشكرني بأدب جَمّ.

السؤال السابع:

- هل تنتهي علاقتك العاطفيّة بالمقال بعد كتابته ونشره؟

- نعم تماماً، وقد أصدرتُ 4 من كتبي الأولى في كتاب جامع أسميته (أولاد جارتنا)، وقد شرحتُ في التمهيد للكتاب بأنَّ ما كتبته لم يعد من أولادي، كما يحلو للفنّانين الكتابة عند سؤالهم عن أهمّ أعمالهم بالقول: «كلّهم أولادي». وقلتُ: إنَّ كتبي بعد إصدارها صارت من أولاد جارتنا وليست من أولادي.

السؤال الثامن:

- كتابة المقال الساخر تنفيس أم صرخة لا تنطفئ؟

- المقال الساخر هو صناعة، ويجب ألّا ننسى ذلك، فهو عملٌ مثلُ غيره من الأعمال الصحفيّة، وهو تعليق ونقد للواقع وتعرية له؛ لمحاولة فهمه بشكل أدقّ، قد يكون صرخة وقد يكون تنفيساً، وقد يكون محاولة نفسيّة لرأب الصدع داخل النفس (نفس الكاتب) وداخل المجتمع، المقال الساخر مفتوح على كافة الاحتمالات.

السؤال التاسع:

- تمتلك قدرة كبيرة على خلق توازن محبّب ومنطقيّ بين الموضوعيّة والذاتيّة في مقالاتك، هل من نصيحة تقدّمها للشباب المثقلين بشغف الكتابة الساخرة في هذا الشأن؟

- ما زلتُ طالباً في مجال الكتابة الساخرة وأتعلّم يوميّاً من تجارب الآخرين، الشباب يكتبون على الفيس بوك مقالات ونهفات أتمنى لو أنَّها خطرت ببالي سابقاً، أنا معجب بجيل الشباب القادم من الكُتّاب الساخرين، فهم يكتبون أفضل مني، ولا يحتاجون إلى نصائحي الحمقاء أبداً، لكنّي أتمنّى عليهم القراءة، والقراءة في كافة المجالات حتى يصقلوا مواهبهم.

السؤال العاشر:

- هل كان لمفهوم السقف في الكتابة دورٌ ايجابيٌّ في امتحان قدرات الكاتب الساخر بشكل عام؟

- الكتابة الساخرة ليست شتائمَ ومسبّاتٍ ومعاركَ كلاميّةً، بل هي محاولة للتأثير على المتلقي بشكل مباشر من القلب للقلب؛ من أجل التغيير نحو الأفضل، ومحاولة لإلقاء حجر في الماء الراكد حتى لا يتعفّن، وبالتأكيد هو محاولة لنبش الوعي بالذات ونقدها وتخليصها من عيوبها وشوائبها، وهذه بداية الوعي، التحايل على مقصّ الرقيب بالتأكيد هي لعبة يتقنها الساخر، وإلّا تحوّل إلى شتّام أو سياسيّ ما.

السؤال الحادي عشر:

- صفْ لنا رحلتك الطويلة في الكتابة في حقل الأدب الساخِر بجملة قصيرة.

- ولدتُ فسخرتُ فأمنتُ على فراشٍ من قلقٍ.

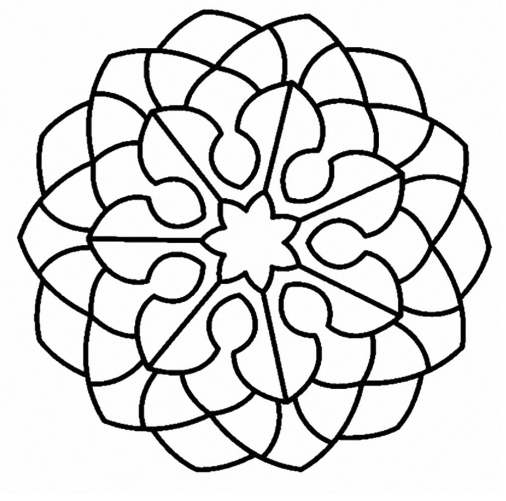

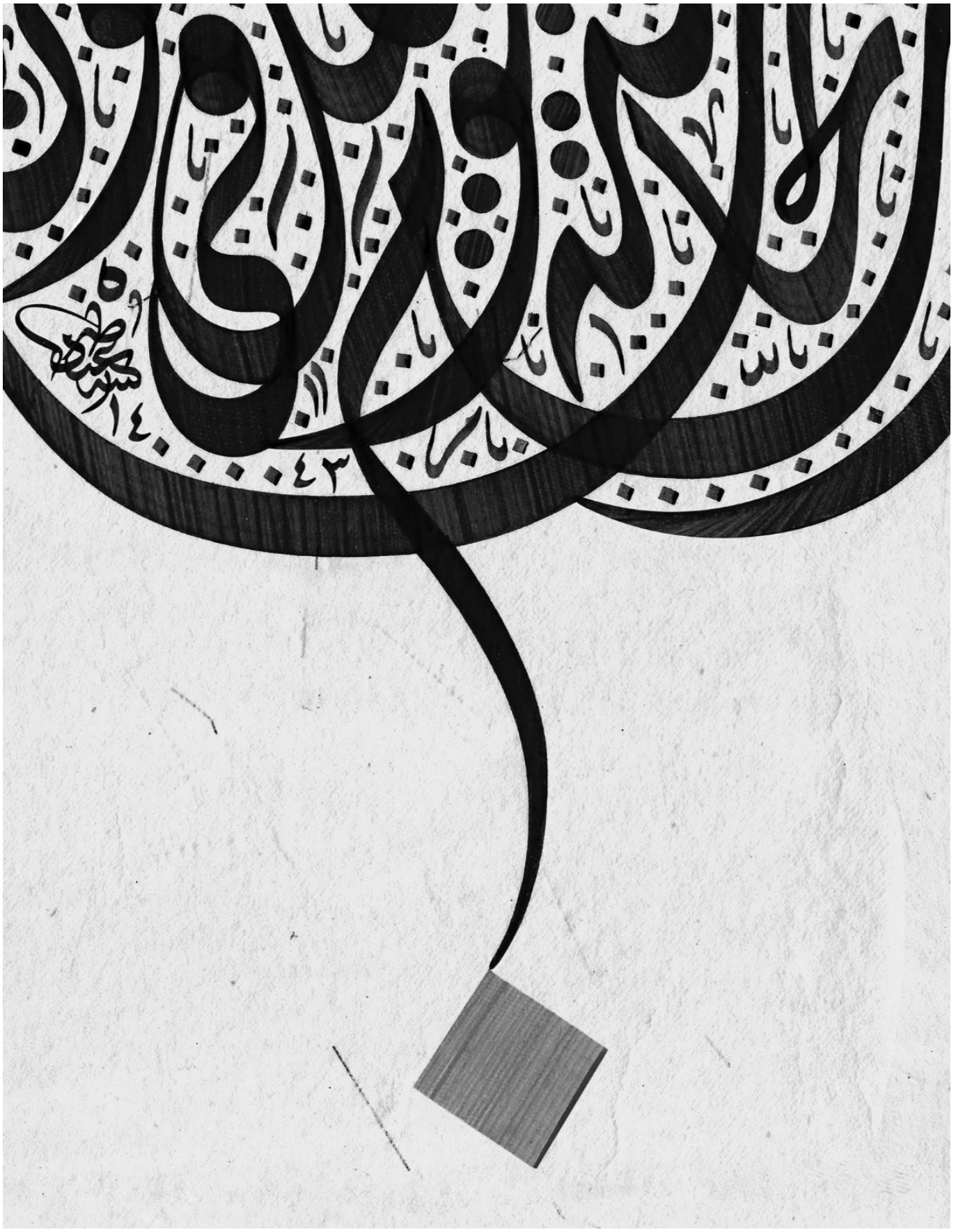

حروفية الفنان: عبد الفتاح طه يونس/ مصر

- بين البداية والبداية ..... عضيب العضيبات
- ما بين العمر والتجربة ..... سماح جهاد العارضة
- ذاكرة الغياب ..... سامر المعاني
- رقصة على مقام الحجاز ..... أماني المبارك
- مع وقف التنفيذ ..... روند الكفارنة
- ضجر الإجازة المدفوعة ..... ماهر القيسي
- فساتين ملوّنة ..... عرين جرادات
- لوحات ريفيّة بعيون بدويّة ..... دعاء الزيود

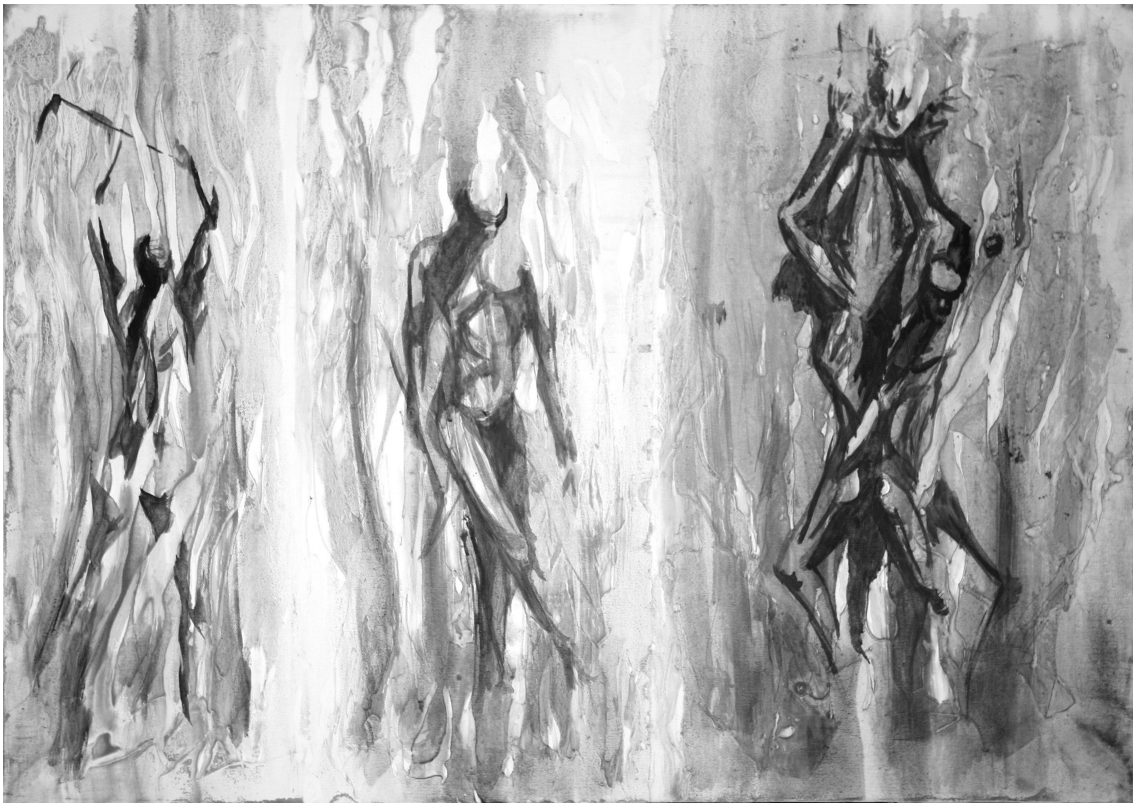

لوحة الفنان: ياسر وريكات/ الأردن

بين البداية والبداية

عضيب العضيبات

مـاذا بـكِ الآنَ؟ قلبـي منـكِ كالنّهْـر ... غيّـرْتِ مجـراهُ حتّـى فـجَّ لـي صـدري
مثـلَ القصيـدةِ؛ خـيرٌ حـينَ أبـدؤُها ... لكـنّ آخـرَهـا لا يتقّـي شـرّي
تبـدينَ راضيـةً حيناً وساخطةً حينا ... فـأشعـرُ أنّـي واحـدٌ غـيري
يـا نـارُ كُـوني على مـا أنـتِ كـائنـةٌ ... لكنْ دعيني على عهدي مع الجمرِ
لـي فـي المطـالـعِ أمجـادٌ لهـوتُ بهـا ... والآنَ تُنكِرُنـي في آخـر السَّطـرِ

مـاذا بـكِ الآنَ؟ هـل حـبٌّ فأُعلنُـه ... وينقضـي الحـبُّ محروماً مـن السّـرِّ!
لـي نبـضُ قلبِـكِ، أدري أنّـه فَـزِع ... منّـي، يخـافُ وقـد ولّيتُـهُ أمـري
عينـاكِ لـي منهمـا خمـرٌ يُعاقرُنـي ... كـأنّنـي رشـفـةٌ فـي كـأسِـكِ الثـرِّ
فـكيف عـاتبـةٌ جـدّاً علـى رجـلٍ ... سـوَّتْهُ عينـاكِ تمثـالاً مـن الخمـرِ
إنّـي خيـالُـكِ، حُـرٌّ، غـيرَ أنَّ دم ... جيـشٌ أسـيرٌ ومبسـوطون في الأسْـرِ

مـاذا أقـولُ؟ وروحـي غـارقٌ ويـدي ... تطفـو لديكِ وأحـلامي على ظَهْـري
أقـولُ: مُـدّي يقينـي كـي نعـودَ معـاً ... بِشارتَـينِ إلـى كـونٍ مـن القهْـرِ
يـا حيرتـي فيكِ، يـا خـوفي عليكِ ويـا ... عمـري لديـكِ إذا قـدّرْتِ لـي عمـري
مـاذا بـكِ الآن والأيّـام هاربـةٌ ... منّـا ويشغلُنـا التفـكيرُ فـي العُـذْرِ
مـاذا بِـيَ الآنَ.. لا شـيءٌ سـوى قلقـي ... مـن اقتـرافي لمـا يجـري ولا يجـري

ما بين العمر والتجربة

سماح جهاد العارضة

بين ترويستينِ من فِراقٍ، وفي لحظة عُري تبدو الحقائق متشابهة، وكأنَّ ما نحتاجه منها هو فضّ الحروف، تاريخ طويل من مواقف يُسقط عنا القناع، وكتاب مغلق لن يُفتح بعد اليوم، يصبح الحديث من بين زواياه مُغرٍ أكثر، نحن نُظهر الحقائقَ لنلامس الوجع بأصابعنا، لنقارب الحقيقة، لننتصرَ على أنفسنا كيلا نعودَ ولا يعودَ فينا الألمُ مجدّداً، ففي الثانية الأخيرة لسقوطنا تتوالد المشاعر جميعها.

في البدايات نُسقط عنّا تُهمَ الحقيقة دوماً، وفي نهاية الفصول نتشبّث فيها كأنها آخر الأشياء ثباتاً، لذلك تزورنا بلا وجه، اقترابها منّا لا يحتاج إلى ملامح، هي أقرب الأشياء إلينا وأبعدها، هي ذلك الوميض الذي يأخذنا مصادفةً لآخر الرحلة، نتوه في زواياها قليلاً لنعود مصادفةً أيضاً لذات النقطة.

في جميع الأحوال علينا أن نتعايش مع وجود الأخطاء التي تُرغمنا نوعاً ما على التغيير وتصحيح مسارنا، ما نصنعه بقراراتنا هو طريقة حياة، لذا علينا في النهاية أن ندفع جلد الذات بعيداً، وبدلاً من إلقاء اللوم على الظروف والحظ، علينا أن نُسارع في تسوية الحساب بين ما حملناه كأولويات وبين الطريقة التي اعتدنا عليها في الحلول؛ لكيلا نفيض بمجموع التجارب التي نحملها تباعاً.

كلُّ مرحلةٍ ما هي إلا نقطةُ تحوّلٍ، وبدايةٌ ربما تحمل لنا حقيقةً، أو قد تفتح لنا آفاقاً نلتزم بها أمام أنفسنا، كلُّ ما علينا فعله هو وضع كلّ ما نمرّ به في ميزان عادل يُنصفنا ويُنصف تلك التغييرات؛ لنذهب إلى الأفضل، لتصبح السنين في المحصلة أرقاماً مختلفة لتقييم تجاربنا لا أعمارنا.

وحين ندركُ أخيراً أنَّ العمر يُعطينا أضعاف ما نستحقّ؛ ليقدِّم لنا إمضاءه على غرار العادة، وأنَّنا لا نتلمَّس تقلّباته إلّا حين يفوتنا الطريق، نمزِّق الأجندات من المنتصف، ونُعلِّق على الحائط أسماء شهور مختلفة وسنين بالقلب لا بالأعداد، فنحن نُخلَقُ حين تولد لنا ذاكرةٌ بتواريخ حقيقيّة.

مع الوقت يصبح العالَمُ أكثر غرابةً، لا ندرك فيه مواقعنا، وما إن كنّا قادرين على استكمال الرحلة وبالكيفية التي بدأنا بها، أو إن كان علينا الوقوف مليّاً على تلك التجارب التي أنفقنا فيها أقصى ما حملناه من خلاصة وطاقة إنسانيّة، تلك الانتفاضة التي تخلُقُها أرواحنا في لحظةٍ على كلّ ما يحيط بها، تستحقّ المحاولة والاستمراريّة للوصول، فالشجاعةُ أن نقفَ على بعد رابع من مجهول، أن نصلَ أو لا نصل، أن نجعل من متاهات الزمن وأُحجياته طريقاً أخرى، فالأشياء الصغيرة التي نفعلها بحبٍّ ومشاعر حقيقيّة، والتي تأخذنا بكامل إرادتنا نحوها، هي أثمن بكثير من تلك القيم الكبيرة التي ننتظر أن تُبذَلَ على أبوابنا، ما نقدِّمه بأنفسنا هو عطف خفيّ، وامتنان لأرواحنا التي قاتلت حتى تصل إلى نقطة المنتصف.

ذاكرة الغياب

سامر المعاني

هل تأخَّرَتْ في الحضور؟ هل استبدلَتْ ألوان حضورها؟ هل بحثَتْ عن زاويةٍ جديدةٍ؟ لا أحدَ هنا يُشبهها، لا شيء هنا يعرفني، الحنين إليها يستجدي سلاف القلب أن تتمهَّلَ وتُمعنَ النظر جيداً في كلّ الزوايا، وتحت ظلال الشجر والياسمين، لعلّها توارَتْ عن الأنظار، فعطرها العتيق الساكن في أروقة المكان، كان يُشعلُ الدنيا فرحاً وسروراً، وصوتها المخمليّ يملأ الدنيا نشوةً، غير أنّي لم أتنفّسْها حين دخلت هذه المرّة.

مُملّةٌ هي الحياة دون من سكنونا عشقاً وحبّاً، حتى باتت العيون تخجلُ من الانصياع للهدوء، تودّ لو أنَّها على حافة جبل عالٍ، تصرخُ في المدى مُخرِجةً كلّ ما في جعبتي من تعب، فلم يبقَ أحدٌ هنا، والحروف المبعثرة على الجدران والمقاعد تختزل المواعيد المرتجفة، والحروف التي أصبحت تتشابه لا تُثير شجوني.

خرجتُ تملأني الدهشة، أناجي قصائد الاشتياق، وموسيقى الطرقات الطويلة، لكن كانَ لي من الصدمة ما جعلني أقفُ على حافة الشكّ. إنَّ للنسيان روحاً وقلباً وذاكرةً، يولد من رحم الغياب ويُوأَدُ في الفقد، لكنّني لن أفقد الأمل، هربتُ وظلّي يحملني على أكتاف العمر الضائع، تعتصر ذاكرتي نشوة الشباب، وصور العناق، ورعشة اللهفة، وحنين أيام لم تكن لحظة عابرة، فكانت شبابي وأرشيفي، والأملَ المعقودَ لعبور الحياة بسلام.

أبحثُ عنها بين رسائل البريد، في عيون تائهة بلا دليل، وقصائد كتبها شاعر هزمته القافية، فذهب ينثر خواطر بلا روح، أبحثُ عنها بقصة أنثى تخشى أن تبوح بمغامرات الطفولة وأغاني المساء، لكنّني كنتُ رغم كلِّ هذا الشغف لمعرفة أيّ خيطٍ يشفي كلّ الضوضاء التي تتراكم على جمجمتي؛ لتُعيد ما تبقّى منّي لي.

الكتب بين يدي، أحاول أن أقرأ قصصاً تُسعفني كي أستعيدَ حضورنا، أُقلِّبُ كلّ ما وقع بين يدي من كتب، أبحثُ في نهاياتٍ رسمها القدر، فأعيدُ البحثَ مجدّداً ولكنّني لم أفلح، زميلة الدراسة أسكنتني اهتماماً وشغفاً، كنتُ أغبط نفسي، فأرتدي لباس الكبرياء والسمو ونشوة المنتصر، كبرنا والحلم مشغول بفرح الشباب، لا نُفكِّر في أكثر من لقاء حميميّ عند كلّ احتياج، تأخّرت كلماتُ الحبّ، بالرغم من أنَّها كانت مستوطنةً في القلب والروح والأحداق وكلّ مساماتنا.

انتقلتُ للعمل في دولة مجاورة، وكانَت أولَ مَن شجَّعني على ذلك، في كلّ لحظةٍ كانت مُصرّةً على ألّا أتركَ هذه الفرصة، التي سيكون لها مردودٌ ماديٌّ جيّدٌ، عدتُ في أول زيارة من غربة الجسد، لعام كانَ كأنَّه عقودٌ من الشوق واللهيب، كانت قد أغلقَت البابَ خلفها مُسرعةً بعدما ارتجفت شفاهنا للوداع، تمضي الأيام والسنوات، وقد شاب مفرقي وشابت لحيتي، أندبُ حظّي وفقر قوتي على النسيان والتجديد والتغيير، أتلحّف ذكرياتي كي أنجوَ من قهر الوقت كلّ مساء.

أصدقائي ومَن حولي كلّهم أسماء تتكرّر فقط في الحضور، لا شيءَ يُثير شجوني ويُعيدني، أنا كما أنا قبل سنوات، أوراقي وقصائدي بلا روح، حروف ترسمها لو ولعلّ ويا ليت، أخون النسيان بالبحث عن كلّ الخيوط التي ربما تريح فؤادي، سرّ الغياب وعذاب الفقد دون إنذار، أجوبُ كلَّ الوجوه والأماكن؛ كي تنطقَ ولو أكذوبةً أبني عليها خاتمة روايتي، أدمنتُ الوحدة وسكون المقاعد، أتجنّب الأماكن المزدحمة، أرتِّب سجائر الآهات أمامي، تأخذني تارة الأوهام وتارة أخرى الذكريات، أُتمتمُ في سرّي كلّ أغاني الحنين وقصائده.

وذات مساء كسول، وقبيل الغروب بقليل، حتى كان مَن يلتمس كتفي، وإذا به صديقنا الذي تزوّج زميلتنا منذ أيام الجامعة، يباركون لقائي، وأنَّهم لم يصدِّقوا رؤيتي حتى اقتربوا منّي بعد كلّ هذه الأعوام من الغياب، حاولتُ كثيراً أن أُرمِّمَ ذاكرتي وأستعيدَ جزءاً من طاقتي، أبادلهم التحايا والمجاملات، لكنّني كنتُ أخجلُ من السؤال عن ليلى، التي لا بدّ أن تزور حديثنا بعد قليل.

تغيّرت أنفاس صديقتنا، وانخفض صوتها حين قالت ليلى وأنا أشرئبّ من مكاني، وكأنَّ الدنيا أصابها الخرس، قالَت زميلتنا: ليلى كانت مُخلصةً لكَ دوماً، رحمها الله، كانت دوماً تحجز لك مقعداً في الأمام، تغار عليك من كلّ الطالبات، أكمل زوجها حديثها: نعم كانَتْ راقيةً ومتميزة رحمها الله.

لم أتذكّر شيئاً غير أنّني وقفتُ على قدمي حتى خرجتُ من كلّ الدنيا، رأيتها في عيون الطبيب الذي كان يتحدّث باللغة الإنجليزيّة.

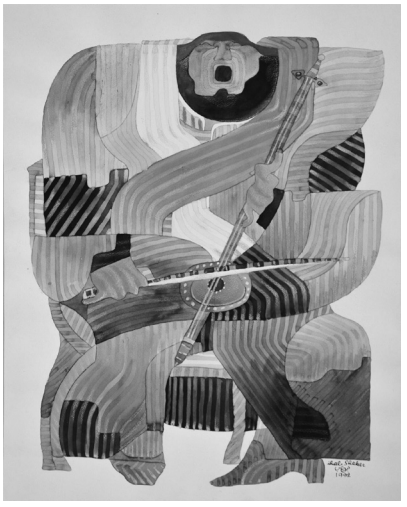

رقصة على مقام الحجاز

أماني المبارك

واهمون

كيف ننسى

دخاناً على فِراش مسائي

وما تناثر من فتاتِ الكحل

فوقَ وسادةِ الأحلامِ

حروفاً تكسرُ نون النّسوة

وتتركُ المعانيَ ذكرياتٍ على خدِّها الأيسر

وهم الوعود

يقفُ الآنَ كطفلٍ بريء

ينظرُ من ثقبٍ بباب الحقيقة

لرقصةٍ فوقَ مسرحِ الحكاية

والمُغنّي يُردِّدُ لن أبقى هنا

فتدنو من خطيئتها

كيف لقلبي أن يحفظَ ماءه

ويبتعدَ بفراشاته عن أغصانٍ منهكةٍ

ها أنا أقتسمُ مع الأقحوان احتمالاتِ حبّك

والطّبيب في كتابك المُفضَّل

يُرشدك كيف تشظيني

بين التماس الأعذار لصورتك على حائط الذكرى

وجرح يليق بإرثك الرّزين

كنتَ مستساغاً

لجاريةٍ فارسيّةٍ

ضلّت ترنو إليها

حتّى سقطت بلّورة خاتمها الفيروزيّة!

ما تبقّى

حوارنا على طاولةٍ من زجاج قلبي

يُسيّجُها النّخيلُ وزهرُك البريّ

في غرفةٍ تضجُّ باللّوحات

والغبارُ يتصعّدُ أرجلَ اللّهفة

فترتجفُ السّتائر كلّما أطرقت النّظر

في مشاجرات الضّوء وثرثرات المرايا

وتُطبق النّافذة ذراعيها

الآن

خُذْ مقاساتي

لتبدأَ برسم المشهد الختاميّ

وتغمسَ ريشتك بمنفضة السّجائر

ليتراءى أمامك فستاني الرماديّ

مربّعاته إطارات لصور صدئة

جذع المسافة مقابلَ الباب

يربتُ على ساقي الجريح

ويُلملمُ أشلاءً تناثرت صوراً

على رصيفِ الذّاكرة

أعجنُها

بدمعٍ تساقط من أفئدة العشّاق

أصنعُ منها تميمةَ صبرٍ

تأخذ شكلَ الزّوبعة

وتطوفُ البلاد كصوفيّ

مع وقف التنفيذ

روند الكفارنة

لا ليس اليومَ، لقد تركتموني منذ فترةٍ لم أسمع منكم، أنا لا أعرف كيف تعقدون مجلساً لمحاسبتي؟!

كانت السيدة ليلى تستعدُّ منذ الصباح لهذا المجلس الذي انعقد أخيراً، تنفّست الصعداء، وتنهَّدت بألم يبدو مبالغاً فيه، ربما كانت ترغبُ بالتأثير في أولادها الذين يتحلَّقون حولها. جهّزت مجموعةً من الأكلات الشعبيّة التي كانت تُصِرّ على إعدادها كلما اجتمعوا، اختارت الغطاء للطاولة بتأنٍّ شديدٍ، كانت تميل ألوانها للأزرق في إشارة لتهدئة نفسها، صفّت الأطباق الفارغة بهدوء شديد، ولم تنسَ صفَّ عدد من الأطباق الممتلئة بالسلطات بأنواعها، كانت تعمدُ دائماً لصنع الطعام للتخلّص من التوتر، أمّا اليوم فهي لا تجده فعّالاً كما يجب.

منذ توفي والدكم وأنتم كلّ واحدٍ منكم في فلكه يدور بين عمله وأولاده، تغدو زيارتي كواجب، تجلسون عندي دقائقَ تنظرون بها في ساعاتكم أكثرَ ممّا تنظرون لوجهي، تُحملقون في هواتفكم، أشعرُ كأنّني كنتُ مجرّد محطّة لتربية أولادكم، مكان

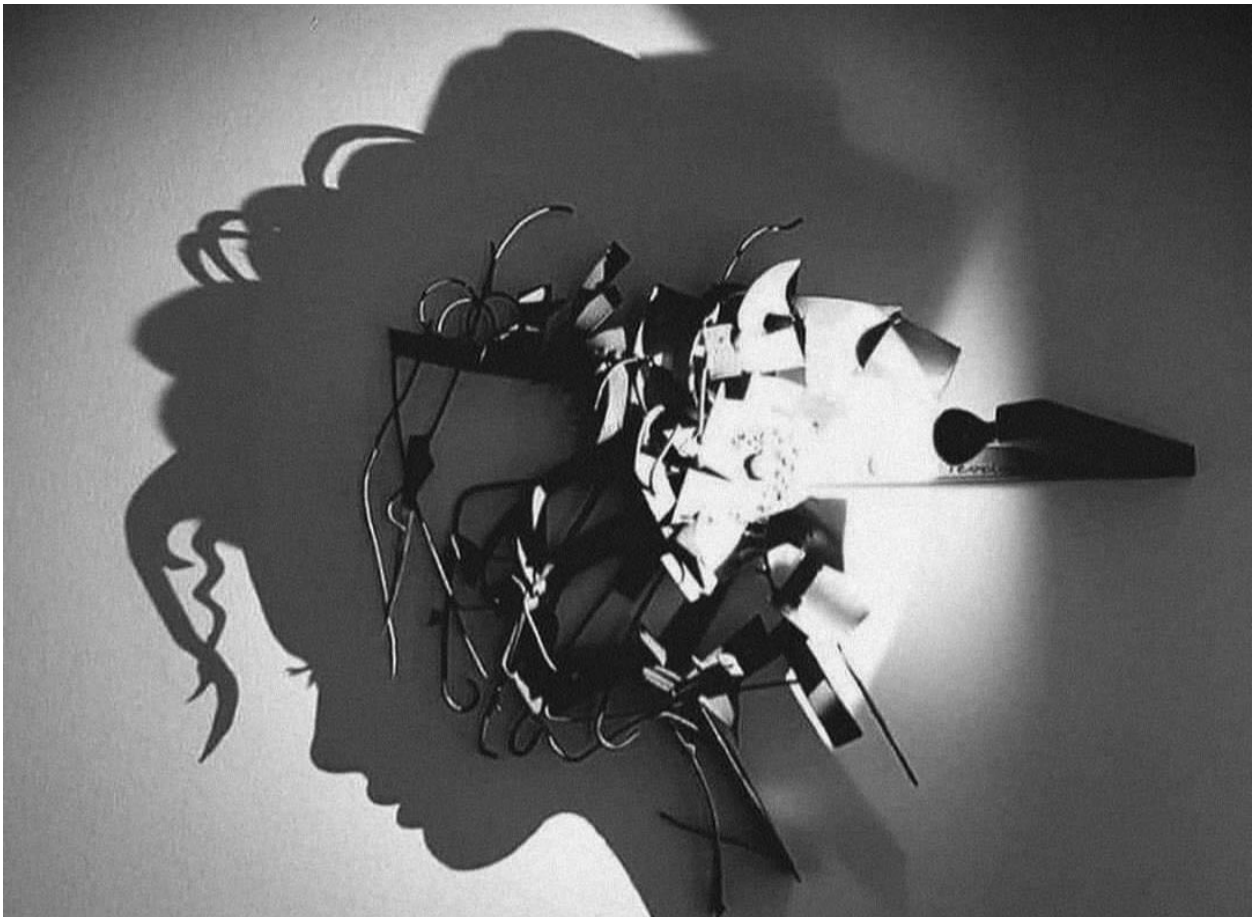

للترفيه عنهم شامل الطعام، أو مع وقف التنفيذ، عليك أن تُجبني أنتَ يا سعيد، وأنتَ المُقيم في أمريكا منذ ثلاثة أعوام ولم أرَكَ، علامَ تُحاسبني اليومَ؟

كانت تلك الكلمات التي تدور في رأسها كتسجيلٍ يُعاد ويتكرّر، ولكنَّها لم تجرؤ حتى على قوله، استجمعَت قوتها، وقالت: نعم أعلم أنَّهُ طلب يدي منكما وأنا موافقة. قالتها وتنهّدت كأنَّها أزالت صخرةً عن صدرها.

– أرجوكِ أمّي أنتِ لا تسمعين نفسك، هل فعلاً تقصدين أنَّكِ تنوين الزواج في مثل هذا العمر؟! ماذا سيقول الناس؟

– الناس يقولون إنَّكم تركتموني منذ أعوام وحدي، فلماذا لا تتصرفون عكساً لتوقعاتهم مثلاً؟ ولماذا المفروض أن أتصرّف كما يتوقّعون؟ تكلّم...

صمت ثلاثتهم يغصّون بكلماتهم، كانت عيونهم تلتقي ويغضّون مباشرة كيلا تشيَ بما يُفكّرون، يتنفّسون بسرعة، ويحاولون كتم صوت وحش الغضب الرابض على صدورهم، ترتجف الكلمات على شفاههم، كنتُ أدركُ قبل مواجهتهم أنَّني أُطلق عشّاً من الدبابير، لا أعرفُ كيف أُخبرهم، أساساً لا توجد طريقة سهلة لإخبارهم أنّني يجبُ ألّا أموتَ وحدي كما حدث مع أم أيمن، أم أيمن التي ماتت من الملل.

كانت تشعر بالملل فتقوم بمغامرات لا تناسب عمرها، وأخيراً سقطَتْ عن مرتفعٍ عالٍ، يا ترى لو كان لديها رفيق للقهوة، هل كانَتْ ستحاول تسلّقَ مرتفع والتقاط صورة عليه حتى تنهال عليها اللايكات وعلامات الإعجاب، نحن نبالغُ في استعطاف الآخرين، أو هكذا أقرأ أنا أيّ منشور مبالغ فيه أو لا يشبه صاحبه.

كانَ عليَّ أن أخبرهم على كلّ حال، لا توجد وصفة ناجحة لتُخبري بها أبناءكِ أنَّكِ ستتزوّجين، فكّرت ماذا لو كنتُ رجلاً؟ إذن لسعى نصف أقاربي لتزويجي وباركوا هذه الخطوة، وسيكونون هم أول مَن يسعى لذلك، لكن أنا امرأة وأمّهم، صفتان تجعلاني أتجرّد تماماً من كوني إنسانةً لي مشاعر، كأنَّ صلاحيّة المرأة تنتهي بمجرد وصولها لسنّ معينة، وأنَّ الأمهات يجب أن يكُنَّ بلا رغبات تماماً.

نعم رغبات يا سامر، بماذا تفكّر؟ هل أنا التي ربّيتك؟ أُصاب بالخيبة حين أسمعكم، وهل حصرتم الرغبات في رغبة واحدة؟ أن أجد أحداً ما يستمع لي رغبة ملحّة، أن أجد رفيقاً يذهب معي للتنزّه في يوم ربيعيّ أيضاً تُعَدّ رغبةً، وقد تكون رغبةً مُلحّةً أيضاً، الأمان هو حاجة، أتعلمون كم أخاف عندما تمطر وتضرب قطرات المطر شباكي، وتعوي ذئاب البرد خارجاً، الزواج ليس جنساً فقط يا سامر، عليك أن تدرك ذلك يا دكتور وأنت تحاسبني، لا تتجرّد من إنسانيتك، كن مُنصفاً مرّةً واحدةً معي.

أنتَ تنامُ ليلاً حاضنا أطفالك، هل فكّرتَ لو مرضتُ مَن سيُسعفني، الخادمة التي قرَّرتم استبدالها بعنايتكم لي، غريبة لا تفهم لغتي، لا تشعر بي، لا أستطيع أن أُحدِّثها عنكم وعن أولادكم، ولا أرغب في أن أمضيَ عمري بمرافقةِ غريبةٍ تعاملني كمصدر رزق، ثم لنفرض أنّني أريد أن أشعرَ بأنَّ رجلاً ما يعتني بتفاصيلي، يحميني ويقدِّرني، طبعاً ستعلِّقُ مِشنقتي لو قلتُ أحبّهُ، لا عليكم، ماذا تريدون مني الآن؟

– نحن نحبّكِ يا أمّي، ولا نرغب في أن تلوكَ الألسنُ سيرتك.

– لا عليكم، حبّكم أعرفه تماماً، وأدركُ حُبَّ وقت الفراغ الذي تصفونه، وأدرك أنَّكم بالرغم من ثورتكم الآن تحبّونني.. لا عليكم ماذا الآن، ماذا تريدون منّي؟ أخبروني..

– أمّي أرجوك لا نريد أن تشعري بالظلم، نحن فقط.

– أنتم فقط قرّرتم أنَّكم أصبحتم في عمرٍ يسمح لكم بالتحكّم بي، فهاتوا ما عندكم.

– ستسافرين عندي في أمريكا، زوجتي ستلدُ بعد شهرٍ، وتقضين عطلة الصيف عندي، وإذا قرّرتِ بعدها أنَّك ترغبين في السفر لسامر سيكون.

كانت غصة تلازم روحها عندما رفعت سماعة الهاتف، وقالت لصديقتها سها: «أخبريه.. لا يُمكن أن يتمّ موضوعنا».

ضجر الإجازة المدفوعة

ماهر القيسي

في الليلة الظلماء

أفتقدُ القمرَ والتسّلية

فأهُشُّ بعصايَ على النجم ناظراً

وأصفنُ متتبعاً بوصلة القوافل..

ألكزُ السماءَ بالخطأ

تنفتح أبوابها!

يلجُ الجَمَلُ في سَمِّ الخياط

ثم تشتاق الناقةُ لفحلها

في الصبح

في ما يستعدُّ شاهدُ الزورِ للذّهابِ إلى المحكمة

والكشّاشُ يُطيّر رفَّ حمامٍ مسرولٍ

أحدّثُ أمّي عن طاحونة الهواء،

علّها تؤمّن على رغيفها

وتنسى عقوقي في ليالٍ ماضية

فتذكرُ اللّهَ مُغمضةً..

في الظهيرة

يتمدّد الكلب في ظلّ التّينة

ألكزهُ من خاصرته – قاصداً – ليُخلي طريق الحصّادين

فيتذكّر أن ينبحَ على داشر الماشية..

طار يومان من الإجازة

وفي الثالث مساءً كنتُ أُطيّر شكّ أبي بفحولتي في جنبات النساء متحدّثاً له عن الزكام

وعن كيف طيّر الكشّاش رفّ حمام في ما الشاهد يستعدُّ وأنا أحدِّثُ أمّي عن طاحونة الهواء.

فساتين ملوّنة

عرين جرادات

اسمي كيران، وجدتُ نفسي أمسح زجاج نوافذ السيّارات، وأمدّ يدي للسائقين لأحصلَ على بعض النقود، كان يرميني بعض الشبّان الذين أخاف الاقترابَ منهم بكلمةِ قطّة، يُشيرون إلى عيوني.

مرَّ عليَّ الكثير في هذا العمر، أشعرُ أنّي كنتُ طفلةً صغيرةً قبلَ دهرٍ، لا أعرفُ وطني، وُلِدتُ على الطّرقات، تُطيِّرُ العواصف خيمنا في الشتاء وتتسلّخ أقمشتها في الحرّ.

أكثرُ ما أكرهه هو الذباب، يأكل من طبقنا المشترك دائماً، وسخام الشوارع الذي يصبغ وجهي وشعري، أكثر ما أحبّ هو ألوان الفساتين والخرز التي أحضرَها أهلي معهم من أول أرضٍ تسلّلوا من حدودها، لا أعرفُ مَن أُصدِّق، بعضهم يقول إنَّنا من الباكستان، وآخرون يقولون إنّنا تركمان، وحبّنا للشاي لا يُسعفني لأُحدِّدَ الوطن، كثيرة هي الشعوب التي تعشق الشاي.

ورثت فساتيني عن كثيرٍ من الفتيات في عائلتي، مَن تكبر تعطيني ملابسها وأوشحتها، الوشاح حاجزي الوحيد بين وجهي وبين خوفي من الطريق والمارّين به، حاجز هشّ، وخافقي كثيراً ما جَفَل، حفظتُ بعضَ الكلمات من لغةِ هذه المدينة، لا أستطيعُ قراءةَ المكتوب في الورق، لكنَّني أتعلّم على يد الكبار كيف أقرأُ الكفَّ وأسمعُ الودع، وكيف أقولُ لفتاةٍ: «إنتِ حزين وتعبان»، فتتركُ شغلها لتسمعني.

كثيرون هم الذين يثقون بالغريب الذي يظهرُ فجأةً في حياتهم ليقرأَ حزنَهم، بعض القراءات مصائد، ولكنَّ قراءتي بريئة، تعلَّمت أن أرى الروحَ وانكساراتِها وتوقَها للتجوال، بضعة قروش ليست ثمناً للمواساة، ولا تُعَدّ احتيالاً، هنالك مَن يُزيِّفُ حياةً كاملةً، هناك مَن يُزيِّفُ لكَ هدأةَ البال.

لوحة الفنان أحمد الخطيب/ الأردن

لوحات ريفيّة بعيون بدويّة

دعاء الزيود

قريتي الجميلة حكايةٌ لا تنتهي، أنام وأصحو على مرابع العمر النديّ، الممزوجة بتراويد جدّاتنا.. أنا دعاء صبيّة القرية البسيطة إلى نهايات البساطة، ابنةُ عبد الرحمن، حدود أحلامها وأفكارها لا تتجاوز أسوار بستاننا المُلقى على ذلك الجبل في وسط قريتي العتيقة المنسيّة خلف جدار الزمن، بيت والدي أو ما يسمّيه إخوتي بيت العائلة يتوسّط القرية، بيت قديم تشُمُّ منه عبق الماضي، وتسمع من بين ثناياه أصواتاً لأرواح كانت هنا، ولولاها لما كنّا هنا.

هـذه قريتـي بـكلّ مـا فيهـا ومـا هـي في مُخيّلتـي وذاكرتـي.

أبـوي... يجلـس جلسـةً طويلـةً تحـت شـجرة الصفصـاف العتيقـة، حاضنـاً بـين يديـه لفّـةً مـن الأسـلاك يلُـفُّ بهـا سـلك ماتـور المـاء ليـرويَ عطـش شـجراته الظِّمـاء، سـارحاً في تلـك الحيـاة، رافضـاً لـكلّ متعهـا، راضيـاً بمتعـة هـدوء وبسـاطة الحيـاة، يجلسُ أمامـي وأنـا متّكئة على سـور بئر المـاء كالجبل الشـامخ، أُسـحَرُ بجمالـه ووقـاره، ولكـن لا أسـتطيع الوصـول إليـه هيبـة وروعـة وعجـزاً.

أُصنَّـف بـين إخوتـي ابنتـه الوسـطانيّة، فكنـتُ ومـا زلـتُ رفيقتـه المُدلَّلـة، والشـيء الباقـي لغـرس خلاصـة خبرتـه الطويلـة وشـريط حياتـه الممتدّ، فكنـتُ أنـا وريثة خبراتـه وتجاربـه، وكأنَّ حيـاةً كاملـةً جمعت ونسـخت في ذاكرتـي، ومنهـا بـدأت حياتـي الجديـدة، فكنـتُ حلقـة الوصـل التـي مـن أجلهـا أبـي لـم يـزل يعيـش، وإن لـم يكـن يعيـش بجسـده فحياتـه وخبراتـه وتجاربـه ترقـد هنـا في الغرفـة الأولـى في الطابـق السـفليّ، الـذي بنيـت عليـه اللبنـات الجديـدة التـي تُشـكّل حياتـي الجديـدة.

قريتـي قريـة منسـيّة تتّكـئ على مزاريـب الذكريـات، شـتاؤها عبـارة عـن صـوت المطـر ليـلاً حـين ينهمـر مـن مِـزراب سـطح بيتنـا القـديم، يصُـبّ في الحمّـام المُلتصق بجسـد البيـت كالبثـرة... في حين نختبـئ تحت أغطيتنا أو ننحشـر في جلد أشـقائنا أو أبناء عمومتنا، والمِزراب يُرسـل لنـا بهـدوء أمنيـات الأحـلام السـعيدة، بينمـا أمّـي تضـع لنـا في تنـك قـديم جمـراً مشـتعلاً ليُدفِـئَ قلوبنـا المتعبـة؛ لكيـلا تبـرد ولا تمـرض أكثـر، يقولـون إنَّ النـار فاكهـة الشـتاء، ولـم يقولـوا لنـا إنَّ الـدفء هـو فاكهـة الشـتاء، ففـي ذلـك الكثيـر مـن الـدلالات، فجمـال النـار يـوازي بـل يفـوق في أهميّتـه علـى التدفئـة، فـلا تـزال النفـس البشـريّة حتـى اللحظـة تحِـنُّ الـى رؤيـة النـار أعظـم اكتشـاف للبشـرية، فتدفئتكـم المركزيّـة تجلـب النعـاس والخمـول، وتصيـب «بلفحـة صدريـة» كما تقول لنـا أمّـي، أمّـا نارنـا فكانـت ومـا زالـت فاكهـةَ شـتائنا، نشـتهيها في كلّ حـينٍ ونحِـنُّ إليهـا في كلّ وقـت، ونرغـب فيهـا شـتاءً كمـا نرغـب فيهـا صيفـاً؛ لأنَّهـا حقّـاً فاكهـة لذيـذة، لا يـزال الإنسـان يُعبِّـر عـن رغبتـه وحنينـه بتلـك الجمـرات المشـتعلة ليـلاً مـن إحـدى مدافـئ المنـازل أو أبـواب مواقـد الحطـب القديمـة.

أذكـر في أحـد المـرّات، أرادَت أمّـي أن تخبِـزَ لنـا خبـز الشـراك علـى الصـاج، وهـو عبـارة عـن صـاج مُصفَّـح مصنـوع مـن الحديـد المُقـوّى، دائـريّ الشـكل ومُقـوّص مـن الداخـل، مقلـوب علـى وجهـه السـفليّ، يتِـمُّ وضـع رغيـف الخبـر عليـه بعـد أن يتِـمَّ جمـع مجموعـة مـن العيـدان اليابسـة، أعـواد نحيـلات يُخلِّفهـا الحطّابـون وراءهـم، ممزوجـة بـأوراق الزيتـون مـن الكـروم المُحيطة ببيـت أهلـي، فهـذا نـوع آخـر مـن أنـواع النـار التـي مـا زال يلمـع في ذاكرتـي ويتراقـص أمـام عينـي أنَّهـا نـار الصـاج، دفئهـا ممـزوج بحنـان أصحابهـا.

عزيـزي القـارئ أراكَ مُتعجِّبـاً مـن شـغفي بما تسـمعه منّـي... أفهـم أنَّـكَ تعجـر حتـى عـن تخيّـل ذلـك، ليتنـي أسـتطيع أن أصـوِّر لـك جمـال مجتمـع قريتنـا وصمـوده رغـم المُتغيّـرات التـي نمُـرّ بهـا، فالصمـود ليـس فـرداً فقـط، الصمـود الحقيقـيّ هـو الصمـود الاجتماعـيّ، صمـود النـاس أمـام عوامـل الطبيعـة، وهـذه هـي القـدرة البشـريّة والإبـداع الحقيقـيّ.

أتريدُ المزيدَ من إبداع الفقراء في الشتاء أم اكتفيت؟ تذكّرتُ أنّي كنتُ أحمل فانوسي، أغادر الغرفة الكبيرة التي تنام فيها أمّي مع إخوتي؛ لأعدّ فراشي وسط كراكيب تملأ غرفتي الصغيرة المكتظة بالجرائد والكتب والورق، وكثيراً ما كانت أمّي تضع فيها البخور، أحِنُّ وأُدفَأ، تلك سعادتي المطلقة وحدي، أستمع للمذياع الذي كان لخالي وأهداني إياه، أظلّ أستمع إليه حتى منتصف الليل، بعدها أرفع الصوت لأترك المذياع يصدح بصوتٍ شجيٍّ يُغنّي: «ويلي محلاها البنت الريفيّة ويلي محلاها». إلّا أنّي لا أذكر اسم الإذاعة لكثرة التشويش، لكن ما أعرفه جيداً أنّها تذيع سهرة مع فنّان أحبّه، وقد يكون توفيق النمريّ، وهنا فقط أخاطر وأتركه كي أستيقظ على أغنية نجاة الصغيرة وهي تُغنّي: «أرخت عمان جدائلها فوق الكتفين». وخلال هذا أكون متماهيةً تماماً مع صوت المزاريب، مُمتزِجاً بأحلامي عن الحبّ ورومانسية توفيق النمري ونجاة الصغيرة، بعدها يعُمُّ الهدوء إلّا صوتٌ في الخارج، وهو همهمة كلب جارنا الذي يُربّي المواشي، ودورانه حول المنازل، وإنْ نبح بقوةٍ فذلك يدلُّ على أنَّ هناك شيئاً.

حياتنا في القرية فسيحة جداً، رغم أنَّ البيوت متباعدة صغيرة، محشورة بالعائلات الكبيرة، يكون الإخوة متشاركين في نفس البطانية، والضباب خلال الشتاء يسكن قمم الجبال، وينزل قبل الظلام بهدوء من علاه ليُغطّي القرى كلّها، فلا ترى شيئاً.

أمّا ملابسنا في الشتاء، فتلك حكاية، لا أحد من إخوتي يتذكّر متى اشتريتُ ولا كيف، ولا لَمن كانت في الأساس، وكيف وصلت لكلّ واحدٍ منّا، لا نعرف سوى تعديلات ولمسات إبرة أمّي على الأماكن التي اهترأت، أمّي امرأة حكيمة لأنَّها تبقى طَوال الليل مستيقظةً لتبقى جمرات المِدفأة تكافح لحياةٍ أطولَ؛ لتضعَ عليها تلكَ الماء الذي ستتوضَّأ به لصلاة الفجر، وسنغسل منه وجوهنا، أمّا جارتنا الأرملة أمّ حسين، فقد ورثت عن زوجها بضع خراف وبضع شجرات زيتون وتين وتفاح، كانت تدع حبات التفاح بعد أن تظهر على أغصانها، وتجمعها لتصنعَ لأطفال الحيّ حلوى تُدعى «العنبر» المُغطّس بالسكّر المُكرمل، وتبيع ما يفيض منها، فتُمضي شتاءها دافئةً هانئةً، قد تطبخ على حرارة بقايا الجمر الكثير من طبخاتها.

ولم تنتهِ الحكاية بعدُ، فأمّا عن فطائر الزعتر وما إدراك ما فطائر الزعتر! التي كانت تصنعها جدتي لعائلتها ولمن تحبّ، ممزوجة وأساس مكوناتها الطيبة، والخير الوفير، وكم هائل من حبّات البركة وزيت الزيتون الذي ربما كان دواءً لكلّ داء.

وقبل أن يفُجّ الصباح، وتلوح أهداب الشمس الذهبيّة، نشتمّ رائحة حمس القهوة خلف أروقة بيوتنا القديمة، فهناك معنى الطيبة التي تصنع المحبة ممزوجةً بكرم أهلها وطيب معشرهم، فللقرية مُسمّيات كلّها جميلة، مثل: (مرابع أهلنا أو حوض البلد أو الوادي الشرقي).

مهما أكتبُ وتستفيضُ مشاعري عن قريتي، وأصفُ بعضَ أفضال الحقبة التي تشرّفت بالتعايش فيها على الأقل عقداً أو عقدين من الزمن قبل رحيلهم رحمهم الله، ما زالت ثقافتنا التي تغذّينا بها منهم حاضرةً منغرسة في نفسي، أحِنُّ إليها ولن أنساها ما حييت، فيها مُربّى الجدود والطفولة السعيدة التي عشناها مع أغلى مَن نحبّ.

لوحة الفنان: خالد شاهين/ فلسطين

- الكتابة... التقاط الذي على قارعة الطريق ..... رشا ديرية

الكتابة...
التقاط الذي على قارعة الطريق

رشـا ديـرية

عـبءُ الفكـرة ثقيـلٌ، تلـك حقيقـةٌ يعيشـها الكاتـب في مواجهـة أفكاره محمَّـلاً غالبـاً بتفاصيـل مُرهِقـة، تجـول في ذهنـه في نـزاع شـبه دائـم، فعمليّـة الكتابـة ليسـت بالأمـر اليسـير، بـل قـد تتعسّـر في بعـض الأحيـان، أو لا تكـون مثمـرة بالقَـدْر الـذي أراده الكاتـب، خاصـة حينمـا يكـون الكاتـبُ ذا شـخصية قلقـة ومتوجسـة، وفي الغالـب يعيـش معظـم الكتّـاب حالـة القلـق هـذه، ليـس خوفـاً مـن اللقـاء بـين القـارئ والنـصّ المنتظـر، وإنمـا قـد يكـون خـوف علـى النـص ذاتـه الـذي عـاش طويـلاً في روح الكاتـب حتـى خـرج كيانـاً منفصـلاً عنـه.

حياتنـا بـكلّ مـا فيهـا ترقـد علـى قارعـة الطـرق، وفي أزقـة الطـرق، ومـن التفاصيـل، وبـين النـاس، ومـن التجربـة الفرديّـة والجماعيّـة، تتجـذر الفكـرة في وجـدان الكاتـب وتترسَّـب في مخيلتـه، وتلـك عمليّـة مُعقَّـدة في حـدّ ذاتهـا، لذلـك تتحـوّل الفكـرة إلـى نـصّ يـروي ألـم أحدنـا أو يترجـم سـعادته، بـل قـد يجـدُ القـارئُ في نـصٍّ هُويّتَـهُ الضائعـةَ.

بالنسـبة لـي أُقِـرّ بأنّـي أثنـاء القـراءة أحـاولُ البحـثَ عـن الكاتـب في شـخصية مخفيّـة، وذلـك لا يعنـي أنَّ الكاتـب يقتحـم النـصَّ عبـر إحـدى الشـخصيّات، لكنَّـه

موجود في نصّه بكلّ تأكيد، ففي نهاية الأمر يأتي النصّ ولو كان على درجة عالية من الحياد، نتاج صراع ذهنيّ يعيشه الكاتب.

لاحقاً حين أصبحتُ أمارس الكتابة، شغفي الأول، أتقنتُ بشكلٍ أو بآخَرَ، أن أُخفيَ نفسي في نصّي، وأن أسمح لذلك العبء بأن يأخذ مساره بين الشخصيات وعبر الكلمات، هنا قد يأخذ الأمر منحىً مختلفاً بعضَ الشيء، فقد يحدث أن تختلط الأمور ببعضها بعضاً بإتقانٍ فنّيّ يُثري النص، بحيث يجد القارئ في النصّ شخصيّة محوريّة توحي إليه بأنَّها الكاتب نفسه، بينما هي في الحقيقة الشخصية الأبعد عن الكاتب، حدث ذلك معي ذات مرة، حين حدّثتني قارئة مبدعة لها ذوق خاص، عن شخصيات روايتي (حمل مهدّد)، لكنّها تجنَّبت الحديث عن شخصية «أمين»، وهي شخصية أرهقتني وآلمتني كثيراً أثناء كتابتي الرواية، فسألتها مباشرةً عن «أمين» حين وجدتها قد أنهت حديثها من دون الإشارة إليه، ارتبكَتْ قليلاً حين أسرَّت لي بأنَّها تعتقد أنَّ «أمين» شخص مقرَّب منّي في الواقع، وليس شخصيّة مُتخيَّلة.

رغم سعادتي باعتقادها أنَّ «أمين» الذي أبكاني وأنا أكتبه شخص حقيقيّ، لكنَّ سعادتي لحظتها

طغت على كلّ ما سمعته حول الرواية، حين استطاع النصّ أن يُشعِرَ القارئ بأنَّ الشخصية المُتخيَّلة حقيقيّة، جاءت ضمن السرد الروائيّ كشخصٍ قريبٍ منه، بحيث شعر أنَّه حقيقيّ، على الرغم من أنَّ «أمين» بالتحديد، كان الشخصيّة المُتخيَّلة في كلّ تفاصيلها في روايتي الأولى (حمل مهدّد)، على عكس شخصيّات الرواية الأخرى، الذين كان لهم نظائر في الواقع التقيتُ بهم قبل كتابتي الرواية.

جميعنا قرّاءً وجدنا أنفسنا عبر نصوص الروايات، أو ضمن أبيات الشعر، فالأحرف كما تجتمع لتُشكِّلَ أسماءنا، تجتمع لتكتب سيرنا وهمومنا بأسماء مستعارة، نحن نعيش في تلك النصوص، وهناك من ينوب عنّا داخل صفحاتها، هي علاقة مَدّ وجزر تحكمها قوة جاذبيّة الفكرة وقربها من قلب القارئ.

أجد في تنقّلي الدائم بين الكتابة والقراءة، أنَّ لكلّ نصٍّ طرفين لا يقلّ أحدهما أهمية عن الآخر، كاتب جمعَ الحروفَ ليكوِّنَ فكرةً، وقارئ فكَّكَ أحرفها لتتصارع في مخيلته، قد تكون مطاوعة لما أراد لها كاتبها، أو طرأ عليها تغيير، أو تحوَّلت إلى شكل آخر حين تزاوجت مع أفكار القُرّاء، فالنصّ جنين يخلُقُهُ كاتب، ويلده قارئ، ويُجهضه جاهل.

بلا شكّ ينقل الكاتب من خلال كلماته تجربته الشخصيّة وآراءه الخاصة، فقد يكتب تجربة حياة عاشها بنفسه أو تجربة قريبة منه فعايشها وتأثَّر بها، في كلتا الحالتين تولد النصوص الأدبيّة نتيجةَ معركةٍ ذهنيّةٍ خاضها الكاتب من أجل نصِّه، وثار في مصنع الأفكار الذي أرَّقه وأجهده حتى ينتج كتابه، لذا يسعى الكاتب لتقديم فكر يليق بذاكرة قارئ يؤرِّقها المعنى؛ لأنَّ الفكرة الجميلة تتحرَّش دون ملل بالقارئ لتُجبرَهُ على احتضانها، وقد يغافلها القارئ ويثق بها، وهو الدور الأصعب للكاتب والأدقّ للقارئ، وهنا يتشارك القارئ والكاتب معاً مسؤوليةً في هذا العمل الذهنيّ.

حين كتبت روايتي (حمل مهدّد)، كانت بمثابة قشّة الغريق التي ذابت من فرط تمسُّكي بها؛ لشدة ثقل الفكرة في ذهني، ذلك ما جعل لكتابتها معنىً جميلاً، بحيث تحوَّلت الرغبة الجامحة بكتابتها على مدى سنوات إلى واقع وُجِدَ أخيراً بعد جهد كبير، كثيراً ما شعرت بالانهزام، وربما بالرغبة في التوقف وإرجاء كتابتها لحين استكمال بحثي عن التفاصيل والمعلومات اللازمة لبعديها الزمانيّ والمكانيّ، لكنَّ القوة الكامنة داخلي كانت تُعيدني للعمل والبحث الدقيق كلّما وصلتُ إلى حافة الاستسلام.

والحقيقة هي أنّي أردتُ لهذه الرواية الوجود، فقد تحمّلتُ مسؤولية نقل هموم أبطال الرواية الذين قابلتهم واستمعت إلى ظروفهم ومشاعرهم وتجاربهم، كانت ألسنتهم تنطق بواقع يبدو خيالياً، فكنتُ كلما تعبتُ حدَّ الاستسلام تُعيدني قسوة تجاربهم إلى صفحات روايتي، وجعلتني قدرتهم على استكمال حياتهم رغم الانكسارات الكبيرة، أستكمل عملي من نوافذ واسعة حين تضيق نافذتي الخاصة.

ودرّبت نفسي أن أرى النهايةَ بدايةً جديدةً، أوسعَ أفقاً من سابقتها؛ عملاً بإحدى مقولات الرواية: «قبل أن تقترب من هزيمة حُلم، عليك أن تتعلق بقشّة حُلمٍ آخَرَ».

لوحة الفنان: عزيز عمورة/ الأردن

لوحة الفنانة: أمل نصر/ مصر

- جماليّة الوصف في المجموعة القصصيّة «صلصال» لهشام مقدادي ..... موسى إبراهيم أبو رياش
- في الحرب الحبر أجمل الدماء ..... باسم سليمان
- الشاعر الأردنيّ محمد النعيمات (الصَّمتُ كيسُ الكلام) ..... عبود الجابري
- قراءة في نظرية ما بعد الإنسان ..... مريم عواد الطوالبة

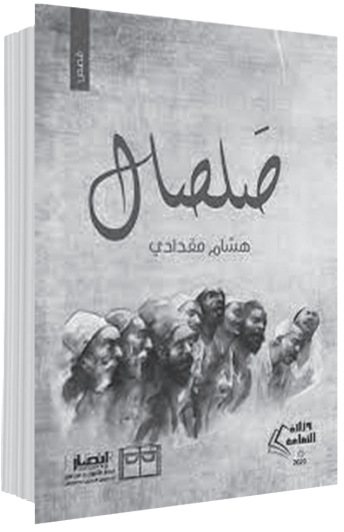

جماليّة الوصف في المجموعة القصصيّة «صلصال» لهشام مقدادي

موسى إبراهيم أبو رياش

الوصفُ من تِقنيّات القصة القصيرة، التي منها أيضاً الحوار، والسرد، والمونولوج، والاسترجاع، والتناص، والمفارقة، وغيرها، والوصف هو الرسم بالكلمات للشخصيّات أو الأماكن، أو المشاعر والأحاسيس، وتتجلّى براعة الكاتب في تقنين الوصف، بحيث يكون جزءاً أساسيّاً من النصّ، يُعطي قيمة مضافة، ويؤدّي وظيفةً أو غرضاً، ولا يمكن التخلّي عنه، فلا وصف مجانيّاً أو زائداً مقبولًا في القصة القصيرة، وإلّا عُدَّ حشواً يُضعف النص ويُرهِّله.

وجماليّة الوصف لا تتأتّى بحسن التعبير وجزالة اللفظ ومتعة الصورة، بل لا بدّ من الصدق في الوصف، وأن يرسم للقارئ مشهديّة مقنعة واضحة للموصوف، مثل مشهد سينمائيّ أمام ناظريه، والمبالغة في الوصف والتكلّف يُفقدانه واقعيّته، ويتحوّل إلى عبء يجلبُ الملل والانصراف عن النصّ.

وقد تميّزت مجموعة (صلصال) للكاتب الأردنيّ الشابّ هشام مقدادي بالوصف الدقيق، والتعبير الرائع، واللغة الجميلة، وهي المجموعة التي فازت مناصفةً بجائزة الدولة التشجيعيّة عام 2021 (دورة مئويّة الدولة)، وقد ضمَّت سبع عشرة قصة. وحول موضوعاتها وتنوّعها، يقول مقدادي في لقاء إذاعيّ: «لقد تعدّدت موضوعاتها، فليس ثمّة نسق محدّد يُمكن إجمالها فيه، الولادة والموت، تحقيق الذات، تخطّي الخسارات الفادحة، البحث عن النور الذي تحجبه الأيام بسفرها المرعب ويُجلّيه التأمّل، الحرب بكامل غطرستها وقسوتها، ووداعة مناغاة وليد صغير، الطائفيّة التي تقضم السلام بتُؤدة، والحرمان الذي يدفع البشر إلى الانفصام عن واقعهم، وعيش الحلم المؤلم في حالة تعويضيّة لما حُرموا منه».

تتناول هذه المقالة نماذج من جماليّة الوصف التي ميّزت قصص المجموعة، وكانت من أبرز سماتها، في قصة (قُدّاس) يتذكّر الراوي أمَّه التي توفّيت قبل عام: «أحاول استرجاع مدّخرات ذاكرتي، فتتوقّف عند أجزاء معيّنة من جسدها، ابتسامة تفترّ عن أسنان بيضاء منتظمة، بريق عينين واسعتين، وتجاعيد مسترخية شقّت طريقها منذ زمن»، فلا أجمل من ابتسامة الأم وبريق عينيها المُحبَّب، اللذين سيبقيان قناديل تنير عتمة الحياة للأبناء.

تصف الفتاةُ في قصة (طرف المعادلة) أمَّها التي تراقبها وهي تُعِدّ حقائبها للسفر بعيداً عنها: «حين انتهيتُ من تحضير حقائبي، رأيتها تطالعني متّكئةً على باب غرفتي، شاطرتها ابتسامة، ثم أقفلتُ حقيبتي المفتوحة، وأعدتُ النظرَ إليها، نبضة وحيدة ضربها قلبي بقوة، تتالت من بعدها النبضاتُ عنيفةً ومندفعةً، فجارتها رئتي بأنفاسٍ قصيرةٍ ومتسارعةٍ، فاعتدلتُ في وقوفي، تحمل الخطوة الأولى الإذعانَ لاشتياق ما قبل السفر، في ما إصراري بدأ يتهاوى، فركضتُ إلى صدرها دونما رادع.. «ماما.. ماما»، شهقت ثم أجهشت في بكاء مرير». إنَّه موقف صعب على الطرفين، خاصة على الأمّ التي تودِّع ابنتها إلى غربة لا تعلم منتهاها.

يقترن الفجر دائماً بالجمال والسحر والأحاسيس النديّة، نقرأ في قصة (ماذا لو) وصفاً للفجر بما فيه من نعاس ووضوء، وصلاة ونور حيّ: «في الفجر بقايا الأحلام جنون محتّم، وإغواء محبّب، أقوم فأسبغ وضوئي، أُيمّم نحو الجنوب وأرفع كفَّيَّ، في ما نافذة الغرفة تسكب نوراً حييّاً على السجادة، راكعاً أقبض على ركبتَيَّ، يسحرني الإيناس فأخشع، أسمعها تتنفّس غارقةً في النوم فأُبلس، وأُتبِعُ تسبيحتي إغماضةً ناعسةً»، فبين الصحو والنعاس والنور والظلمة عالم مختلف، لا يعيشه إلّا محظوظ.

مشهد المساء جميل في العادة، وفي قصة (حرمان)، يزداد المساءُ روعةً والمكانُ هيبةً وسحراً مع انقطاع الكهرباء: «البيوت والشوارع تبدو أكثر سكوناً، السماء التي امتزجت ألوانها باحمرار ضمّخ الأفق، أخذت تتّشح بلون رماديّ باهت، صمتٌ ساد إثر انقطاع التيار الكهربائيّ، تلألأت أضواء بعيدة، في ما القريب راح يغطّ في عتمة محبّبة، لك أن

تتأمّل العتم وحيداً، حاسراً عنك سطوته بإشعال شمعة هنا وشمعة هناك، وفانوس تعلّقه في الممرّ حيث حوض السمك». وربّ ضارة نافعة، فانقطاع الكهرباء ليلاً يذكّرنا بجمال لا نلقي له بالاً، وكذلك بقية الآلات، فقد سرقت منّا أشياء كثيرة لا يدركها إلّا مَن عاش بدونها ذات عمر.

الحربُ هزيمةٌ للإنسانيّة، وانتكاسةٌ لكلّ شيء جميل، في قصة (السلالم المتحركة) تتذكّر الحرب بكلّ قسوتها وويلاتها: «ما زلتُ أسمع صراخ شذى المفزع، البرميل المتفجر هزّ الأرض، فتشظّى زجاج النوافذ مُمزِّقاً الأثاث والستائر، هُرِعتُ نحو الشرفة، ضممتُها بذراعيَّ المرتجفتين، حاولت طمأنتها، أنتِ بخير، أنتِ بخير، مسحتُ دموعها، عاودتُ احتضانها، وفي زاوية الشرفة كان رأس رجل ما قد طار واستقرّ حيث زرعت أمّي قبل رحيلها زهوراً بيضاء، فتوشّحت بحمرة دماء قانية لزجة». إنَّها مشاهد دامية مرعبة، لا تُمحى بسهولة، خاصة إذا كان ضحاياها أو شهودها من الأطفال.

في قصة (الندبة) تلهو الطفلة وتلعب بفرح في معمل أسرتها للقمردين، تتمشّى بين الرفوف، «يلتمع المزيج المسترخي على الرفوف، أغمس كفّي، تبهجني تجربة انطباع أصابعي على المزيج البرتقالي الدافئ، فأغمس كفّي مجددًا، تزداد بهجتي، وأسعد بالفكرة التي تراودني، سأطبع كفّي حتى آخر الرفوف، أثر انغماس يدي كأثر مسير القطط على الثلج». هذه البهجة والطفولة ضاعت بسبب الحرب، وبقيت ذكريات تؤلم، خاصة أنَّها ارتبطت بفقد الأحبة.

عندما يكون المرء قلقاً، تشغله الحرب وتبعاتها، لا يعد ثمّةَ متّسعٌ للمكان الجميل الذي كان يجلس تحته في طمأنينة وأمان، في قصة (أمل معلّق)، يصف شجرة الجوز العملاقة: «أنحدر نحو شجرة الجوز الباسقة التي تلتهم الفضاء أسفل منزلي، مرسلة أغصانها في كلّ اتجاه، لطالما أطلتُ التحديق بها متعجّباً من حجمها المهول، يطيب لي الجلوس تحتها، متنعِّماً بظلّها الوارف، لكنّي الساعة أعبره على عجل، وقد اتسعت خطاي»، فالخوف من المجهول الآتي وحش مفترس يحرم البشر من كلّ أنس وجمال.

في قصة (الزُّقاق الممتدّ) وصف لحالة التيه التي يعيشها بعض الناس بسبب ضغوطات الحياة، فالفتاة «تغذُّ السير متقاسمةً الرصيف مع مَنْ تظنّها هي، وما تخالهم هم، تعبق رائحة القهوة من نافذة قريبة، فتتنشَّقها بانشراحٍ متجاوزةً أحدهم بانطلاق، في ما لا تنفكّ تلك الرائحة المختبئة تحت الأغطية، تنضج صباحاً فتأسرها برفق...»، فكثير من الناس يخرجون إلى أعمالهم أشبه بالسكارى، يدعكون أجفانهم التوّاقة للنوم، ويجرّون أجسادهم الراغبة بمزيد من الخدر والاستسلام للذة الفراش.

في قصة (أين نتجه؟)، يتذكّر ابنته الرضيعة بألم وحسرة، تلك التي اغتالتها رصاصات الجنود هي وأمها، «حين بدأت بنطق بعض الكلمات، شغفتُ بها كثيراً، تلك اللعثمات والحروف التي تحبو حبواً تخطف روحي وتُسعدني، في شهرها الثامن قالت إباااباااا، غمرني سرور وفرحة جعلتني أناكف أمّها كالأطفال، تُكركر بضحكة رائقة وتُعيد ليلى عليها:

مااااامّاااا، فتردّها إليها إباااابّاااا، فأقهقه شامتًا». إنَّها ذكريات لطيفة لكنَّها جارحة لمَن فقد أحبّته ظلماً وعدواناً، ولا تزيدها الأيام إلّا ضراماً.

تصوّر قصة (عجوز المنحدر) مشهداً متحرّكاً لمشوار يومي للركض في الغابة، يقول: «أعشق كسل الغيمات، ملتهمة قمم الجبال، أعشق فوران الدم في عروقي، وانصياع جسدي لأهوائي، وشهيّتي بالمضي قدماً، تزداد دهشتي واندفاعي كلما تبدَّت الغابة بغير هيئتها المألوفة، ناضحة طزاجةً ونقاءً عجيبين»، فالغابة تعود بكراً كلّ صباح، تجدِّدُ فتنتها وعذريّتها وغموضها.

في قصة (سفر برلك)، صورة قاسية دامية للحرب وضحاياها، وما تتركه من ويلات، «دوي المدافع يفجّر رأسه، فيدكّه بين راحتيه، هزيم القذائف يمطر الصحراء باللعنات، وبشظايا تمزِّق أوردة الجنود، في ما رائحة العرق والبارود وعواصف الغبار تجتاح التَّلّ المغطّى بالجثث». هي صورة الحرب أينما اشتعلت، لا تختلف إلّا في مستوى التدمير والدم المُراق.

تنقل قصة (ونظر نظرة) صورة مؤلمة لحالة أب سوري مع بناته هربوا خوفاً إلى مكان أكثر أمناً في ليلة باردة ماطرة، «تزمجر الريح، وتعبث بثيابهن المبتلّة، تنغرس أقدامهن اللينة بالطين البارد، فتمسي الخطى أكثر ثقلاً، والطريق الليلي أكثر وعورةً ممّا ظنن، يدفعهن إلى الأرض إثر مرور دوريّة راجلة لخفارة لم يتوقّع وجودها على السفح المقابل، فيتمرّغن بالطين ويقطعن أنفاسهن لحين». إنَّه مشهد يُبكي أقسى القلوب، ويُفتِّت الصخر، وأيّ إنسانيّة بقيت لمَنْ تسبّب في ذلك؟!

تُبشِّر مجموعة (صلصال) بصوت قصصيّ أردنيّ جديد؛ لما تتميّز به من لغة راقية، وسرد سلس، وصياغة محكمة، وصور فنية رائعة، وتِقنيّات وجماليّات مدهشة، وموضوعات متنوّعة، واشتغال على الهموم الإنسانيّة الخاصة والعامة، وإفراد مساحة واسعة للجمال والنقاء والطفولة.

و(صلصال) هي المجموعة القصصيّة الأولى لهشام مقدادي، التي نال عليها مناصفة – كما أسلفنا – جائزة الدولة التشجيعيّة عام 2021، وحصل أيضاً على المرتبة الأولى في جائزة سواليف للقصة القصيرة عام 2018 عن قصة (قُدّاس)، وله العديد من الأوراق النقديّة والمشاركات العديدة في المؤتمرات الثقافيّة، وهو عضو في لجنة الشعر والقصة والرواية والنقد لإربد عاصمة للثقافة العربية عام 2022، ويدرس الدكتوراة في مجال النقد الأدبيّ، وقد نال شهادة الماجستير في النقد سنة 2020 عن رسالته (أثر الحرب الأهليّة اللبنانيّة في الرواية).

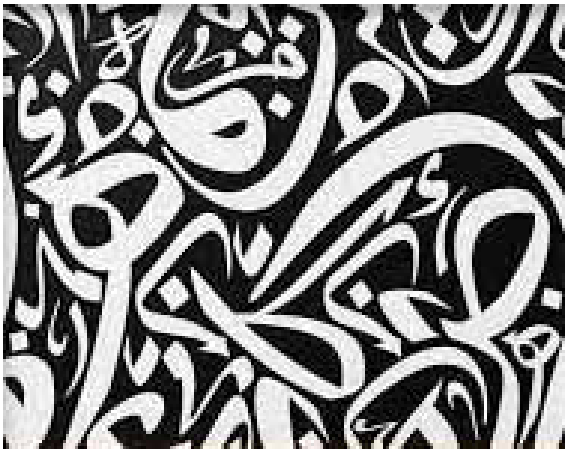

في الحرب الحبر أجمل الدماء

باسم سليمان

هل تفقد التجربة الإنسانيّة قوّتها عندما تهاجر من الدم إلى الحبر، كما يقول والاس فاولي؟ إنّ صيرورة الدم حبراً تُفضي بالدلالة أن تكون هناك نجاة مبدئيّة من الحرب، لكن هل كلُّ نجاة هي حياة ؟ هذا السؤال صاغه الشاعر الشاب مصطفى الحلو في ديوانه الأول (كراريس)، الصادر عن دار دلمون الجديدة 2021؛ كي يطرد أشباح الحرب عن نجاته الصغيرة التي تُشبه القشّة التي يتعلّق بها الغريق، إلّا أنّها في الوقت ذاته تكسر ظهر الحرب.

في الحربِ الحقيقةُ هي الضحيّة الأولى، هذا ما قاله الشاعر اليوناني إيسخيلوس قبل 2500 سنة من الآن، وليس بجديد أن يكرّرها الشاعر في ديوانه، فالحرب قديمة قدم الإنسان على هذه الأرض، فلماذا كلّما قامت أخذنا الذهول، أَلِأنَّ الموت زهرتها السامّة؟ أم لأنّنا كُنّا الموتى الأحياء الذين نصبوا من الحرب شمساً كي توقظهم من أكفان السلام التي ازدهينا بها غافلين عن المكر في الدواء، وبأنّ الترياق سمّ في الأساس، يقول مصطفى:

«تقول أمّي، لا تمُتْ برصاصة في الظهر، أحبّ رأسك تكسوه الجراح

منشقّاً كقمر».

إنَّ ثيمة الحرب هي حجر الرحى التي تدور معها قصائد الديوان، ومن خلالها يناظر مصطفى ذاته وكأنّها آخر؛ كي يهرب من ذاتيّة ستُلوِّثه إلى موضوعيّة تفترضها المسافة بين الناظر والمنظور إليه، وكيف لا، خاصة إذا كانت المسافة تابوتاً كالبوصلة تدور هازئة بمجاز الشمال إلى واقعيّة كلّ الجهات:

«أحاولُ أن يكون موتي نظيفًا مثل الحقول عقب الحصاد

يرافقني مداي نحو انتهائي...».

إنّ هجرة الدم إلى الحبر تُفقِد التجربة الإنسانيَّةَ عمقَها، لكنَّ الحرب خدعة، والشاعر يُخادع، فهو جنديّ في معركة مع الحرب، والقاعدة القديمة تصحّ هنا: «العين بالعين والسنّ بالسنّ»، إلّا أنَّه جندي في السلام، لذلك لم يكن تتكّره/ خِداعه كافياً حتى تعتبره الحرب إحدى مُسنّناتها كقاتل أو كقتيل، لذلك نجا من الحرب كمُهرِّج وجهه نظيف من أحلام الألوان ومن زوارق الضحكات:

«لا وقتَ الآنَ كي تحاكيَ موتك

وجهها القادم من سفرٍ طويل

يحكي قصةَ الشعرِ الطويل

يحكي قصةَ الحربِ العتيقة

يحكي خذلان صوتك وانكسارك...».

لا تستطيع أن تكون في الحرب حيّاً محظوظاً، إلّا إذا كنت لاعب قمار، ترمي حياتك كقطعة النقد، وتنتظر سقوطها الحرّ كقذيفة هاون، أو رصاصة قنّاص، أو قنبلة كرمانة ستُوزّع حبّاتها بالمجّان على الجائعين والقبور، فتنتظر سقوطها الحرّ وأنت مُعلَّق في أبديّة اللحظة، ففي الحرب لا يوجد زمن إلّا اللحظة ذات الوجهين: كتابة أو ملك، قاتل أو قتيل، ميت أو ناج.

تُعطيك اللحظة زمن الشهيق وزمن الزفير وتأتأة الحروف، يقول مصطفى:

«حين تصفرّ القذيفة يصفرّ وجهي

وأنا المعتاد على احتضانها

كجسدٍ مُنهَك

مرميّ على فخذ عدو

أطالع هيجان الأرض

عُقبى تعانقها مع الرصاص

لا شيءَ الآنَ تبكي عليه

فالمدارس والحدائق والجوامع والكنائس

وكلّ مَن عبر هذه الأرضَ بخطوة

يشاركني الاصفرار».

قلنا بأنّ ثيمة الحرب هي المدماك الجوهريّ لديوان مصطفى الحلو، ولأنَّ الأضداد تجتذب بعضها بعضاً، كان حضور الأمّ والحبيبة القوسينِ اللذينِ حاول بهما مصطفى تأطير الحرب تارة كأنّها اقتباس، وتارة أخرى كجملة لا إعراب لها بين معترضتين، وكأنّه بذلك يمارس السحر بالمحاكاة كساحر قديم، فإذا كانت الحرب داية الأموات، فالأمّ هي منجبة الأحياء، والحبيبة هي العمر الذي ينمو بين أشجار السنوات:

«صوت أمّي القادم مع ضجيج السنابل

حملني نحو آخر التل... تلّة الروح

مَن حظي مشاهدة الأزليّ وهو يلوح

بكلتا اليدين... نحو الشفق».

كان عنترة يودّ تقبيل السيوف لأنَّها ذكّرته بابتسامة الحبيبة، لربما لأنّ في السيوف من الشجاعة والبطولة ما يمنح الاستعارة قوتها، لكن لا الرصاصة ولا القنبلة تصلح لأن تكون شبهاً يقوم على جذع المشبّه به/ الحبيبة، فالحبيبة عند مصطفى مجاز هروب، هي نقيض للحرب، ولا يمكن إقامة أيّة صلات بينهما مهما ضغطت عليه الحرب بأدوات التشبيه، لكن لنتأمل لحظةً، أليست الحبيبة هي الخندق الذي يحميه من سحّ الرصاص وهطل القنابل؟! أليست الحبيبة هي صدفة السُّلَحْفاة التي تحميه من عبث الشظايا:

«العيون التي غيّرتها الحرب

ما زالَتْ تحيا بالأمل

وحدَها عيونُ الحبيبة

بقيَتْ صافيةً كالوطن».

تكلّمنا عن رحى الحرب، والرحى لا تدور إلّا على محور، ومَنْ غيرُ ذات الشاعر قادرةٌ على أن تحملَ ثقل الحجر؟ إنَّ الشاعر شاهد، وكما قيل إنَّ الحقيقة هي أول ضحايا الحرب، إلّا أنَّ شهادة الشاعر عن الحرب تُعيد للحقيقة ثأرها ممّن اغتصبوها، الشاعر لا يكتب التاريخ، لكن كما قال أرسطو هو يشتغل بالكليّات، إنَّ كليّات الشاعر ليست كمثاليّات أفلاطون، بل تكمن في تسجيل تلك اللحظات التي تنبتّ كالبراعم بعد الحريق الكبير:

«كمئذنةٍ خانتها الريح وهي حبلى

مخاض الخيبة يُحاصرني

كوجهِ المدينةِ حين غادرتُها هارباً

أمشي على جهلي وجهلي يقين

أمشي على وجعي بزُقاقاتِ الحنين

أمشي كمَنْ فقد ظلّه واتكأ على الجراح

كُلّ الطرق قد باتت دائريّة... وأنا من أنا جسدٌ أنهكه الضنى

قلبٌ تقبّل خَنْجَراً

والروح صاحت يا هنا...

وبقيتُ المستيقظَ الوحيد

الشاهدَ الوحيد على ولادة التيه».

تتابع قصائد الشاعر مصطفى الحلو في الديوان مستندةً على ثيمات: الحرب والأمّ، والحبيبة وأناه، وبين هذه الثيمات يأتي الوطن كخيّاط يُرتِّق ما تمزّق من أرواح وأجساد، فلا بدّ من الوطن إن كان مرّاً أو عسلاً:

«صَدِئت خوذُ الجنود

صَدِئت بنادقُهم العتيقة

والشموسُ التي لبسوها معاطف

صَدِئت والوطن جنين...

أمّي وعدتني أن يكون قميصي الجديد

هديّةَ السلام بأول العام

وأمّي لا تكذب

الوطن الذي حلم بالسلام

زرع الزيتون قبلَ عام

سقاه من دمِ الشهداء

من دموع المُبعَدين المُهجَّرين

كي يكون سلامه أبيض».

وقبل أن نختم هذه الإضاءة، لا بدّ من التوقّف عند العتبة الرئيسيّة للديوان (كراريس)، التي تُشير إلى أجزاء الكتب والدفاتر، هذا المعنى السطحيّ يضمر معانيَ أخرى، وهي الخيوط التي انتظمت بها قصائد الديوان، وهذا المقصد يمتح من الكلمة المكرّسة من القلائد، أي ما نظم خرزها بأكثر من خيط، وهذا قد لمسناه بالثيمات التي بنى عليها الشاعر قصائد ديوانه من الحرب والأمومة والحبّ والوطن، وقد جاءت العتبات الصغرى للقصائد كمفاتيح تُرشد القارئ وهو يتأمّل تفاصيل القصيدة من أنوار وظلال، فنجد عتبات القصائد بأسماء من مثل: سقوط حر- هارب من وجه الحقيقة – موت نظيف – سلاماً يا موسيقى – لذلك الوحش في أعماقي. وهنا نسأل: هل هذا كلّ ما يضمره العنوان؟ بالتأكيد ستأتي الإجابة بالنفي؛ لأنَّ معنى: كَرِسَ الرجل؛ ازدحم العلم في صدره، فهو كَرِس، ولقد أتخم مصطفى الحرب بالحرب لذلك كان ديوانه كراريس.

إنَّ مقولة والاس فاولي التي تومئ بأنَّ هناك خوفاً من أن يفقد الحبر التجربة صدقها، يناقضها بأنَّ التجربة الكتابية تحمل من صفات التجربة الواقعيّة الكثير، فالعثرات والأخطاء والاستعارات الجيدة والبنية المتسامقة كشجرة حور في القصيدة، أو المتهدّمة كجدار قديم، والجرأة في القول والنكوص، كلّها تؤكّد أنَّ مصطفى الحلو أقدم على تجربته الأولى الشعريّة بروح مُغامرة قادرة على توسيع آفاقها.

جاء ديوان (كراريس) بمئة وثمانيَ عشرةَ صفحة من القطع المتوسط، وبأكثر من أربعين قصيدةً، وهو الديوان الأول للشاعر السوريّ الشاب مصطفى الحلو، ومن قال بأنّ الشعراء لا يُشاركون في الحروب؟ لكنَّهم يشاركون بالكلمة، والكلمة كانت في التراث الإنسانيّ خالقة لا قاتلة.

الشاعر الأردنيّ محمد النعيمات
(الصَّمتُ كيسُ الكلام)

عبود الجابري

يكتب محمد النعيمات قصيدته، كمَن يريد أن يرمي حملاً ثقيلاً على ظهره، ويتعامل مع خزينه من المفردات على أنَّها أوجاع يتوجَّب عليه توثيقها قبل أن تُعيد النظر في ماهيّتها، وتغدو شكلاً آخرَ ممّا ينوء به الإنسان المعاصر من تكاليف تسرق منه إنسانيّته، وتسلب منه وسيلة الخلاص، فيغدو الشعر في هذه الحالة نوعاً من الخلاص، أو ما يشبه نفثة مصدور، كلُّ ما يعنيه في لحظته الراهنة هو أن يتنفّس، وهو في تسارع أنفاسه يسعى للغناء، دون أن يكترث لجودة صوته أو النشاز الذي قد ينتاب إيقاع الأغاني، فالروح كفيلة بإصلاح كلّ ذلك، عليك أن تغنّي إذن، تلك هي فرصتك الوحيدة عندما يطيب الهواء في صدرك، وإن لبرهة قصيرةٍ.

ودون أن يسعى إلى مجدٍ أو شهرةٍ، أصدر النعيمات ديوانه الأول (أصابع وحواف/ 2017)، عن دار الآن – ناشرون الأردنيّة، متضمّناً قصائد تشبه الشّهقات، كلّ شهقةٍ تمسك بذيل أختها لتنجوَ من فكرة الوصول إلى النهاية، قصائد تتعامل مع اليوميّ ببلاغة الكونيّ، وتهبط بالكونيّ إلى أرض محايدة، تُجرِّده من أُبهته، وتُشير إلى مواطن الخلل في تكوينه، وأسباب عزوفه عن الإنسان الذي يرنو إليه، آملاً أن يفطن إليه كلُّ ما هو ذو عينين في سديم العالم:

أحياناً

ثمّة فرصة أخيرة

لتصلَ

أو لتنجوَ

لتُنقذ نفسَك

وكأنَّك تُنقِذُ شخصاً آخر من الغرق

ولكنَّك لفرط يأسك

تجلسُ وحيداً

على صخرةٍ بعيدةٍ

وتُراقب بحزنٍ نفسَك

غيرَ آبهٍ بصوتِكَ المُختنق

ولا يدك الممدودة إليك

يدك التي تتلاشى

رويداً رويداً في الماء

وكأنَّها يدٌ غريبة

وكأنَّها ليست يدك.

(فرصة أخيرة/ ديوان أصابع وحواف)

هكذا يكتب الغريق الذي يُصِرُّ على إيضاح اختناقه، فرغم قناعتي بأنَّ القصيدة كان يجب أن تنتهي عند عبارة «وكأنَّها يدٌ غريبة»، لكنّي أُفاجَأُ بإصرار الشاعر على تفسير كلّ شيء، فجاءت عبارة «وكأنَّها ليست يدك»، كنوعٍ من المونولوج الداخليّ، الذي يلجأ إليه الإنسان عندما يريد أن يهمهم دون أن يسمعه الآخرون.

ما كان للشاعر سوى أن يكتب سيرةً ذاتيّةً تُحيل إلى سيرة الجماعة في مجمل قصائده، وتلك القصائد المحمومة العابقة باللاءات النافية، التي لا يمكن إحصاؤها لكثرة ما وردت في قصائده، «لا أحد، لا يد، لا دموع، لا صرخات...»، ويبدو لي أنَّ أسلوب الكتابة هذا يُسهِّل على الشاعر أن يغرق في التداعي الحرّ؛ ليتذكَّرَ كلَّ ما عليه توثيقه في نصوصه، وكأنَّه بذلك يريد القول إنَّ الشعر في حقيقته قد يحتاج إلى إضفاء صيغٍ بلاغيّة عليه، لكنَّه في هذه الحالة يجب ألا يكون مواربـاً، فالوضوح في الهتاف أكثرُ جدوىً، وأمرُّ بلاغةً حين تكون ذا وجعٍ مقيمٍ.

لا يمكن بأيِّ حالٍ من الأحوال أن تفصل الشاعرَ عن قراءاته، وذلك أمرٌ تُقِرُّ به جميع الدراسات التي تناولت ماهيّة الشعر، وتأتي صيغة التساؤلات التي يطرحها محمد النعيمات في بعض قصائده متماهيةً مع التساؤلات الكونيّة اللاذعة، التي طرحها نيرودا في كتابه التساؤلات، غير أنَّها في حالة النعيمات تساؤلات تنبع من بيئةٍ أخرى، ومن كائنٍ آخَرَ غير نيرودا، كائن يحاول أن يطرقَ باب الحياة بأناشيدَ مُختصَرةٍ، لكنَّها تترك صدى طويلاً في فضاء الآخرين.

من الأكثر امتناناً للآخر

قلم الرصاص الذي ابتكر مهنة المحاة

أم المحاة التي تمحو أخطاء القلم؟

حين يضيع القفل

هل يبدو منطقياً اسمُ المِفتاح؟

هل تشعرُ بالوَحْدة

في البيوت المهجورة

صورنا العائليّة؟

أين تذهب كلُّ هذه الظلال

حين نموت؟

(أسئلة لا تقفُ عند علامة الاستفهام/ ديوان أصابع وحواف).

وتبدو هذه الأسئلةُ في بعض صياغاتها أقربَ إلى فنّ الهايكو الشعريّ، ويقيناً أنَّ الشاعر كتبها بروح مَن يريد سبك السؤال؛ ليكون صادماً، كذلك فإنَّ التكثيف في هكذا نوع من التساؤلات، يبدو محنةً تأخذ الشاعر إلى تركيز قواه جميعها إلى الوصول بالسؤال إلى برِّ من الأمان الجماليّ، دون الالتفات إلى تجنيس ما يكتب.

في عام 2022، أصدر النعيمات ديوانه الثاني (كائن القسوة/ دار وائل للنشر)، وكعادته، وربّما لطبيعة الحياة التي يعيشها، ولكونه يسكن في إحدى قصبات مدينة الكرك/ جنوب الأردن، توارى ولم يتبع خطى ديوانه، فلم ينشرْ عن صدوره تنويهاً في وسائل الإعلام، ولم يَقُمْ بإشهاره في أمسيةٍ شعريّةٍ، وتزامن الإعداد لنشر الديوان مع عامين من جائحة كورونا وعقابيلها، حيث زهد الإنسان في العالَم كلّه بكلّ ما يرى أنَّه لا يخدم وسائل العيش، ناهيك عن العزلة وصعوبة التواصل التي فرضتها الجائحة بقسوة، فكان على النعيمات أن يُعاودَ الكَرّة، أي أن يرمي بديوانه في فضاء المجهول، ويمضى إلى شؤونه.

في (كائن القسوة) يلاحظ انصراف الشاعر إلى تأمّل ما حوله من كائنات، ويبدو أنَّ الجائحة كانَ لها أثر في هذا التوجّه، حيث انفتاح العين على الأفق بدون حواجز، والتقارب الوجدانيّ الذي أحدثته بين الإنسان ومحيطه بما يحتويه من أشجارٍ وكائناتٍ أخرى لم يعد يُخيفها الاقتراب من بني البشر، وهذا التأمّل جعل الشاعر يلجأ إلى السرد ملاذاً لقصيدته، وإن حافظت تلك القصيدة على قِصَرِها وكثافتها، لكنَّ السرد فيها كان لاعباً أساسيّاً، الأمر الذي أخرج الديوان من النمطيّة التي كانت سائدة في ديوانه الأول، فكان منه أن تناول الأشجار، والنحل، والقطط، والحشرات، والماء، وكلّ ما يحيط به ويراه:

أريد للشجرة أن تُثمر

للعصفور أن يُغرّد

وللنَّحلةِ أن تصنع العسل

وأريد للشرنقةِ أن تصبحَ فراشة

للوردة أن تصير حديقةً

ولقطرةِ الماء أن تنساب رقراقة في الحقول.

(حين يأتي الطوفان/ ديوان كائن القسوة)

مثلما نلحظ أنّه كتب عن المرأة ولها ومن خلالها إلى الحياة، كدأب الإنسان الباحث عن يوتوبيا، تكفل له وأنشاه من العمر ما يستعاض به عن مسرّاتٍ تنازلَ عنها، وتكفلُ له في الكتابة الشعريّة رقّةً تفتقدها نصوصه الأولى، فهي نصوص خشنة جارحة بوجعها، بعيداً عن جماليّة المعنى:

في الصمتِ تبقَيْنَ معي

في الكلامِ تُغادرين

فتعالي الآن

نقف معاً

مُترنّحين في الصمت

وكمن يقفُ على حافّةٍ

تتمسَّكين بي

وأتمسَّك بكِ

حتّى لا يغرينا الصوت

حتّى لا نسقط

في الكلام.

(قصيدة حافّة الكلام/ ديوان كائن القسوة)

ويبدو واضحاً في الديوان أنَّ الصمت كان يمارس سطوته على مفردات قصائده، الصمت الذي يُفلسفه الشاعر وفق رؤىً تدلُّ عليه، أو على المحيط الذي يراوده عن الكلام، صمتٌ مبدعٌ، يُحيل المحاولات الفاشلة في الكلام إلى قصائد تطريه، وتنال من ثرثرة تغرق بها الأرض، فجاء بعض الصمت على شكل مراثٍ تُؤبِّنُ الكلامَ الذي ظلَّ حبيس الحناجر، لا سيما عندما يكون الصمت هو المخلص الوحيد:

لسنواتٍ ظلّ صامتاً

وفي الآونةِ الأخيرة

صرنا نسمعه كثيراً

بصوتٍ عالٍ –

يُحدّث نفسه

كمن يريدُ أن يتخفّف

كمن يُلقي عن كاهله

صمتَه الثقيل

صمتَه الذي كان

ككيسٍ مملوءٍ بالكلام.

(قصيدة الصمت كيس الكلام/ كائن القسوة)

وبعد، فإنَّ محمد النعيمات كائن مليء بالشعر، لكنّه يزهد بالشعر؛ سعياً وراء الوقت، ويزهد بالوقت في سبيل هرولةٍ يوميّة للحاق بالشمس قبل مغيبها، وتلك هي مَقاتل العديد من المبدعين في البلاد العربية، ممّن يرَوْنَ في (البدر) رغيفاً، حسب قول محمود درويش.

قراءة في نظرية ما بعد الإنسان

مريم عواد الطوالبة

البشر مَرِنون...

انطلاقاً من فكرة أنّ الإنسان مرن وقابل للتغيير، فهو بذلك ظاهرة متحوّلة ونازحة للتّطور، تنطلق هذه النّظرية، نظريّة ما بعد الإنسان، التي تستكمل مساراتٍ فلسفيّةً وُلدت في القدم، وطوّعت الإنسان في كلّ حِقبة من حياته لطروحاتها، فلسفات تستكمل خطّ سيرها في أنّ الإنسان في كلّ مرحلة عليه أن يتمثّل ظروف بيئته؛ ليتمكَّنَ من استمراريّة عيشه لأنَّه مادة، ولأنَّها نظرية حديثة واكبت العولمة والتكنولوجيا وتطوّرات العلم، فإنَّ الإنسان عليه أن يتمثّلَ هذه التطوّرات ويتّحدَ فيها، فتتحقّق بذلك إنسانيته بالتّقنيّة على سبيل المثال.

توطئة..

ظلّ الإنسانُ منذ الأزل محور هذا الكون، ولا نشكِّكُ في الحقيقة الثابتة أنَّ ما هو موجود اليوم من حضارة، وتاريخ، وثقافة، وعادات، وإرث، وأنماط عيش... وهلمّ جرّاً، هو نتيجة حركة الإنسان الدّؤوبة في هذه الأرض، بصراعاته، واجتهاداته، ورؤاه في مختلف مجالات الحياة، فكلّ شيء عائد إليه ما عدا الظواهر الخارقة لقدرته، التي تعود بشكل مباشر إلى خالق الكون.

واتُّهِمَ الإنسانُ في حِقبٍ متأخّرةٍ بأنَّه عبءٌ على حيِّزه الذي يشغله، فأصبح يُطلق على المجتمعات الإنسانية مصطلح الكلاسيكيّة/ التقليديّة بمثابة تهمة؛ أي إنّها مجتمعات نمطيّة، وما تثيره بنشاطها الحركيّ والفكريّ غير مُجدٍ، أو إنَّ ما تنتجه ضئيلٌ، ولا يتماشى مع متطلبات العصر، أو إنّها مجتمعات لا تواكب سيرورة التطورات.

ومن منظورٍ آخرَ هناك ادّعاء مصحوب بالقلق على هذا الإنسان، فمهما ينتج ويسابق عصره بطروحاته إلّا أنّه مُعرَّضٌ للهلاك أمام وطأة الموت، فبرزت نظريات ذات طروحات تنسجم مع تطورات الحياة ومراميها لصالح الإنسان، لكنَّ الغاية كامنة في سلخ الإنسان عن طبيعته التي جُبِلَ عليها، وعزله عن غريزته المنتسِب إليها، وجعله مجرّداً من كلّ شيء، كأيّ مادة على وجه الأرض، يسهل تشكيلها وتعبئتها حسب الرغبة، مادة تنتظر ما يُملى إليها لتعمل وَفْقَه.

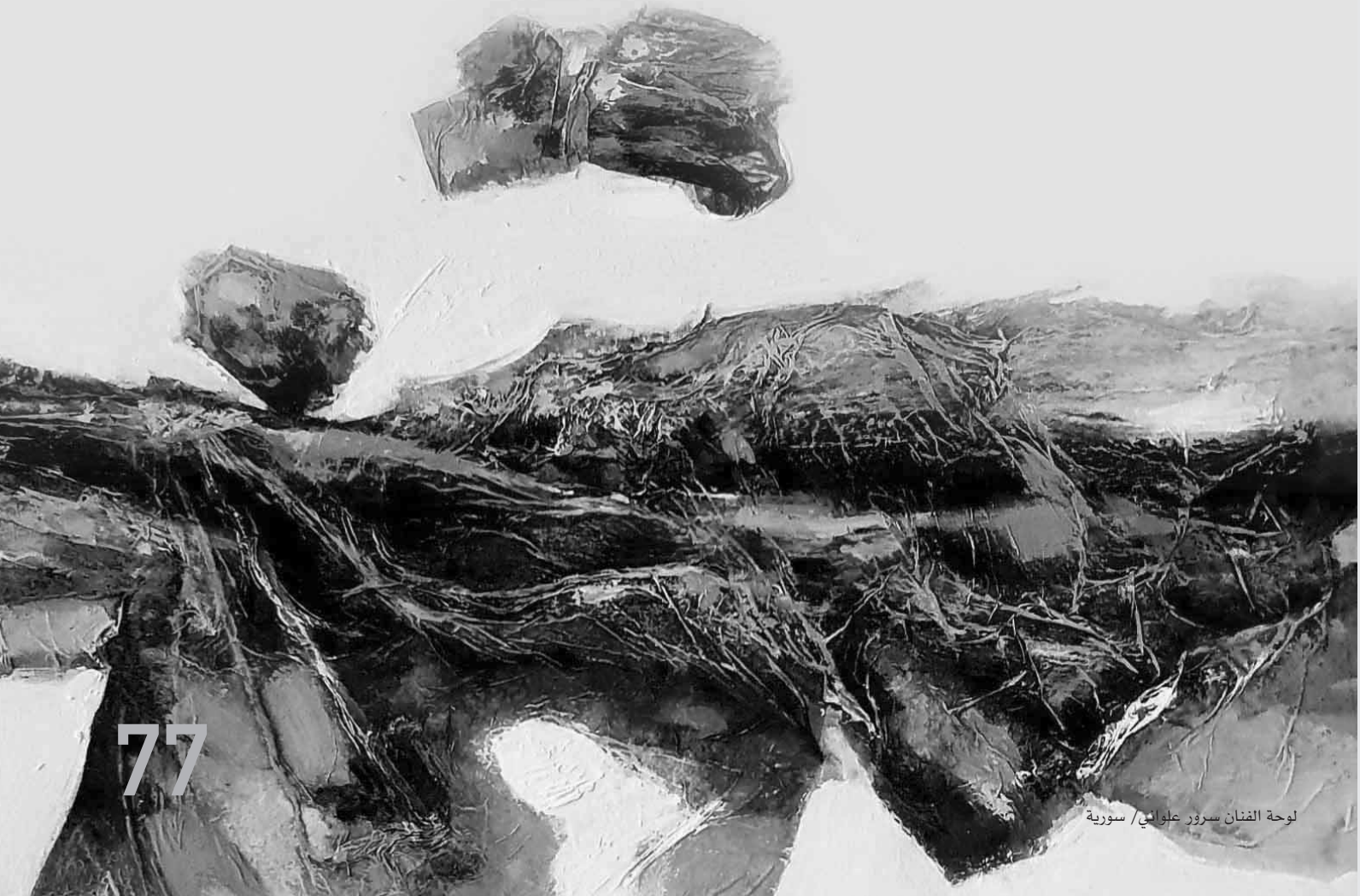

لوحة الفنان سرور علواني/ سورية

هـذا الإنسـانُ الـذي أصبحـت قدراتـه الفكريّـة والجسـديّة وإنتاجيّتـه هشّـةً، وألصقـوا بـه تُهـم الانتقـاص، وأوهمـوه بالحلـول البيوتكنولوجيّـة، التـي لا نُبرِّئهـا مـن كونهـا طروحـات ونظريـات مسيّسـة لتحقيـق مـآرب لأصحابهـا، فالإنسـان اليـوم يعانـي مـن حملـة فكريّـة نُظِّـرَ إليهـا مـن قرنـين، وبُـدِءَ العمـل بهـا في العقـود الثلاثـة الماضيـة، طروحـات تخلـو مـن الإنسـانيّة والأخلاقيّـات، بـدءاً بتمجيـد المـادّة، وانتهـاءً بعبـادة العلـم، ودرءاً للجانـب الميتافيزيقـيّ.

هـي نظـرة أحاديّـة القطـب، تسـلخ الطّبيعـة البشـريّة بصـرف النظـر عـن مرجعياتهـا، فالبشـرُ في كلّ مـكان في الأرض طُبِعـوا علـى مركزيّتـين: روحيّـة وماديّـة، لكـنَّ الجانـب الروحـيّ إن كان سـماويّاً أم وضعيّـاً، ينتفـي أمـام هـذه الفكـرة الصارخـة، التـي انطلقـوا بهـا مـن وقـت إعلانهـم مـوت اللاهـوت.

اليـوم يُنـادى بمصطلـح مـا بعـد الإنسـان، مصطلـح ملتصـق بالإنسـان ويـدور حولـه، وتُضـرَبُ مراميـه فيـه، مصطلـح جـاء مـع حملـة المابعديّـات والموتـات الكبـرى، مُهِّـدَ إليـه مـن قـرون ماضيـة في سـياقات مختلفـة، وأصبـح يلقـى رواجـاً في نهايـات القـرن العشـرين، يدّعـي أصحابـه الفائـدة العظيمـة للبشـريّة بحلولهـم التـي قدّموهـا، ولكنَّهـا تخـدم أصحابهـا فقـط، كمـا أنَّهـا تخلـو مـن الأخلاقيّـات علـى الأصعـدة كافـة، فهـي فلسـفة لا تنفـكُّ عـن مهاجمـة الديانـات، وتسـعى لتحقيـق المكاسـب الماديـة، هـذه الفلسـفة التـي ادَّعـت مـوت الإلـه، ونصَّبَـت العلـمَ ويقينياتـه مكانـه، وتعاملـت مـع الإنسـان علـى أنَّـه قابـل للتطويـر كأيّ مـادة.

فليسـت كلّ فكـرة يطرحهـا العلـم مقبولـة، فقـد سـاهم العلـم في لحظـة تاريخيّـة بتشـويه العالَـم عبـر اختـراع قنبلـة ذريّـة أسـهمت في دمـار البشـريّة، وحقّقـت صدمـة للمجتمـع الإنسـانيّ، فاليـومَ يسـيرُ العلـمُ للمنفعـة الاقتصاديّـة، والهيمنـة، والسـيادة.

فمـن هـو الإنسـان في نظريـة مـا بعـد الإنسـان، وكيـف نـودي بـه؟ فهـل إنسـان مـا بعـد العلـم هـو إنسـان الآلـة؟

محاولة للولوج..

قبـل الخـوض في غمـار الموضوعيّـة وقراءتهـا، وُجِـبَ عليَّ أن أقـفَ علـى الطبيعيـة البشـريّة؟ وكيـف نُظِـرَ إليهـا؟

في سـيرورة الحديـث عـن الإنسـان، لا نسـتطيع إلّا أن نعـود إلـى أقطـاب الفلسـفة الغربيـة القديمـة، وبالعـودة إلـى الإغريـق، فهنـاك إغريـق مـا قبـل سـقراط، وإغريـق مـا بعـد سـقراط، وشـتان مـا بـين الفترتـين مـن وجهـة نظـر نيتشـه، فالإغريـق الأول أعلـى مـن قيمـة الحيـاة مـن خـلال التماهـي معهـا، ظهـر ذلـك جليّـاً في الأعمـال الفنيّـة الكبـرى في تلـك المرحلـة، وكيـف عبّـرت التراجيديـا عـن مواجهـة آلام الحياة.

أمّـا الحقبـة البعديّـة لسـقراط، فإنَّهـم غارقـون في الفسـاد؛ لأنَّهـم ألغَـوْا صـوت الغريـزة وأعلَـوْا مـن شـأن العقـل، إذ إنَّ سـقراط مـن أوائـل مَـن ركّـزوا في البحـث عـن ماهيّـة الإنسـان، وتجلّـى اهتمامـه في معرفـة النفـس واهتمامـه بالعقـل؛ لأنَّـه بمثابـة الجـزء الإلهـيّ في الإنسـان، ومـن صفاتـه الخلـود، فهـو بذلـك وجّـه بوصلـة الاهتمـام بمـا سـيأتي لاحقـاً مـن ضـروب العلـم الناجـم عـن عقـل الإنسـان.

وعلـى نقيـض سـقراط كان أفلاطـون الـذي أولـى الاهتمـام بالنفـس أهميّـة بالغـة، والنفـس عنـده بمثابـة حيـاة، وانتقـالاً إلـى حقـب زمنيـة لاحقـة تعـود إلـى الاهتمـام بالعقـل، نتوقّـف عنـد ديـكارت، الـذي اتـكأ علـى مـا قدَّمـه أرسـطو لكشـف خبايـا الطبيعـة

البشريّة، ولأنَّ الأخير أعلى من قيمة العقل، كذلك ديكارت وجد أنَّ الإنسانَ مُختزَلٌ في كونه فكراً، بدليل الكوجيتو الديكارتيّ المشهور «أنا أفكِّر إذن أنا موجود»، فديكارت وأسلافه الذين سبقوه اشتركوا في مركزيّة الطبيعة البشريّة المتمثّلة بالعقل بعملياته التفكريّة والتأمليّة.

ولا بدّ من الإشارة في ظلّ الاهتمام بعقل الإنسان الناجم عن فلسفة تقسيم الإنسان، على اعتبار أنَّه كلّ مركَّب، قد ظهرت فلسفات اهتمّت بجوانب أخرى في الإنسان، محاولةً البحثَ في المركزيّة المهمة فيه، إلى أن وصلوا إلى عدميّته، وذلك مع طروحات البنيويّة المُعلِنة موته، فـ«فوكو» الذي رأى أنَّ العالَم قد بدأ بدون إنسان وسينتهي بدون إنسان، لم يعد الإنسان هو مركز الوجود، فمقولة الإنسان في التصور الفوكاوي مقولة حديثة العهد، لا نجد لها أثراً في تاريخ الفلسفة، فإعلانُ موت الإنسان استجابةً لإكراهات النسقيّة.

أمّا الإسلام فقد قدَّم لنا تصوّراً شاملاً عن الحقيقة الطبيعيّة للإنسان، يقوم على أساس من التكامل في جوانبها، ونتيجةً لذلك يتفرد الكائن البشريّ بخصائص وصفات تجعله يتمايز عن غيره من الكائنات.

فالإنسانُ استُهلِكَ في فلسفات كثيرة، أُخضِعَ بفعلها لحيز التفكيك، باختلاف النظرة إلى الطبيعة البشريّة بين تكريمها، وبين فصل مكوناتها وتمجيد مكوّن على آخر، وبين عَدّها مادةً كأيّ مادة، وبين أدلجتها على أيّ نطاق بحكم أنّها قابلة للتغيير، وكافّة هذه الطروحات أسهمت في استمراريّة النظرة إلى الطبيعة البشريّة وخنقها في بوتقة هذه الفلسفات.

الحفر في النظريّة..

البدء مع الحلوليّة كي نؤكِّد على نزعة الإنسان الجانحة للتجاوز، ورغبة الإنسان في الاتحاد مع أيّ شيء؛ ليخرج عن حدوده الطبيعيّة، وهي فطرة ورغبة متأصِّلة في طبيعة الإنسان، ويتمثّل هذا الخروج بعدة أشكال: إمّا برحلة روحانيّة صوفيّة في اتحاد الإنسان مع الطبيعة التي يتجلّى فيها الخالق؛ إذ إنّه بذلك يخرج من الماديّة التي تشغل حيّزه، وهو حلول سوريالي خيالي لا نستطيع أن ندركه، ولكن بمجرد التفكّر فيه، وتأمّل مزج العالم السماويّ بعالم الأرض الماديّ، فذلك يُضفي نوعاً من الانفراد والخروج عن المألوف، فما يحدث مع الفرد في هذه اللحظات السوريالية هو أنَّه ينشقُّ عن حدوده الطبيعيّة كإنسان عادي، ويتجاوز هذه الأحياز إلى مرتبة أخرى يتفرد فيها عمّن سواه.

يُمثِّل هذا التجاوز سمة الفرد الباحث عن كلّ ما يفصله عن محيطه، وهذه التجاوزات تأخذ أشكالاً متعدّدةً ومختلفةً، وإن أردنا وصف هذه النزعة ستكون على النحو التالي: إنَّ بني البشر سواسية في خلقهم وموتهم وطبيعتهم، ولكنَّ النزعة الداخليّة للإنسان تحثُّهُ على التفرّد والمغايرة.

وثمّة حلوليّة من نوع آخر، سابقة عن هذه الحلوليّة الروحانيّة، وماثلة في أدب متخيل، حلوليّة لوكيوس، هذا الشاب الذي دفعته رغبته التجاوزيّة بعد رؤية زوجة السيد وهي تضع مرهماً سحريّاً إلى أن تحوَّلت إلى بومة وطارت في أرجاء المكان، فما دفعه ذلك إلى أن يخوض هذه التجربة، ولكنَّ خادمة زوجة السيد أخطأت في اختيار العلبة،

فحوَّله المرهم إلى حمار، وما استطاع التخلّص من هذا الحلول إلّا بواسطة تدخُّلِ الآلهة، فتطرح هذه القصة عدة موضوعات، أبرزها فكرة تجاوز الحدود الإنسانيّة.

المراد من هذه التوطئة أنَّ نظرية ما بعد الإنسان تطرح فكرة حلوليّة غير ميتافيزيقيّة، ومن نوع آخر يتجاوز الإنسان من خلالها ضعفه وهشاشته؛ لأنَّ المنظِّرين فيها يعرفون حقّ المعرفة أنَّ هاجس الموت ومسبِّباته من المرض والشيخوخة والعجز، أكثر ما يُقلق الإنسان، لذلك يريدون التسويق لهذه الطروحات باختيارهم أدقَّ القضايا؛ حتى تلقى قبولاً ورواجاً في عالَم قابع في الماديّة ومؤمن بالعلم، والاكتساح التكنولوجيّ يُحتِّمُ على الإنسان أن يتّحدَ معه، فأبسط مثال على التكنولوجيا هو الذكاء الاصطناعيّ الذي يتفوّق على الذكاء البشريّ، والتكنولوجيا ستُعزِّز الإنسان، فتجعله قادراً على مواجهة التحديات.

الخلود وما بعد الإنسان..

يستوقفنا الحديث عن نظرية ما بعد الإنسان على قضية الخلود، ووقفتنا في هاته القضية؛ لأنّها تُمثِّل صُلب وجذع نظرية ما بعد الإنسان، فمن مرامي النظريّة وطروحاتها السعي إلى الخلود؛ لأنَّ في الخلود ما يشبع رغبة الإنسان ليتجاوز حقيقته، والتخلّص من نذير الموت الذي يُعيده إلى حقيقته في أنَّه مُعرَّضٌ للهلاك، وهذه رغبة أزليّة.

بدءاً بآدم - عليه السلام - ففي حواريّته المشهورة مع إبليس، ووسوسته لآدم حتى يأكل من الشجرة التي أمره الله ألّا يقتربَ منها فكأنَّ إبليس على دراية بهذه الرغبة الجارفة للإنسان؛ أي رغبة الخلود، وهذا الأمل المستحيل، لذلك استطاع أن يؤثِّرَ على آدم – عليه السلام – في عدة مواضع في القران، منها:

(قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى)، وفي نصٍّ آخرَ: (وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ)، إذ يؤكّد إبليس على الخلود، ففي الموضع الأول قرنها بشجرة تمنح الخلود، وفي الموضع الثاني قصر عليهما (آدم – حواء) حدث الخلود، فإبليس يعرف تماماً حاجة الإنسان للخلود، فنجح في غوايتهما، ومن الموضعين السابقين، الخلود هي حاجة إنسانية للخلاص من وطأة الموت/ الفناء، الذي يُثير قلق الإنسان ويُهدِّده في كلّ اللحظات، فلا يتجاوزه الإنسان إلّا بيقينيّة الديمومة/ الخلود.

وفي سياقٍ آخرَ باحثٍ عن الخلود ومحاولة تجاوز الموت، ما جاء في أسطورة الملك جلجامش، وتكوينته المُتشكِّلة من ثلثين من خصائص الآلهة، وثلث من البشر، لذا لا يتحقّق خلوده كالآلهة، فحاول البحث عن خلوده في الحياة العليا، فرحلته خير شاهد على ذلك، بعد أن دفعه موت صديقه (أنكيدو) إلى أن يبدأ بهذه الرحلة، بالرغم ممّا قالته صاحبة الحانة الحكيمة: «إلى أين ذاهب يا جلجامش، إنَّ الحياة التي تبغيها لن تجدها، عندما خلقت الآلهة البشر فرضت عليهم الموت».

على الرغم من أنَّها حسمت مآل الحياة البشريّة في أنَّها إلى فناء، ولكنَّه أصرّ على الخلود الذي وجده في عشبة، لكنَّه فقدها بسبب الأفعى، فوصل بعدئذٍ إلى قناعة فناء الإنسان، فهذه الملحمة وُجِدَت

لتناقشَ قضايا مؤرّقة للإنسان، وهي صراعه مع الموت، وعرضته للهلاك، ومآله إلى الفناء، وما جلجامش إلا محاولة لتجاوز هذه الحقيقة.

فصراع الموت والقلق منه كان بمثابة مركزيّة يُنسَج الشّعر بسببه، كالمعلقات على سبيل المثال، هذه القصائد التي تجلَّت فيها رؤية الشاعر المؤرَّقة من صراع الموت/ الحياة، وأسهمت في تشكيل بنية لغوية متضادة وقلقة بفعله.

أمّا اليوم، فاتجاه العالم مغاير عن كافة مراحل تقدّمه، فاليوم المجتمع البشريّ ينحو نحو التكنولوجيا، هذه الثورة التي شغلت مجالات كثيرة مثل الطاقة والتطوّر على مستوى الآلة، ورافق ذلك تطوّر صناعيّ، وتطوّر زراعيّ... إلخ، كانت نتيجة هذه التطورات الوصول إلى العصر الرقميّ، أو عصر التقنيّة، وأبرز ما تمخَّضَ عنه هو الذكاء الاصطناعيّ.

لذلك فنظريّةُ ما بعد الإنسانية، نظريةٌ تسعى للتطور الإنسانيّ، فهي نظريّة مستقبليّة للبشر، عبر التِّقنيّات، أو تسخير التِّقنيّة لتهجين الإنسان وتعزيزه، فالإنسان الضعيف والهش عبء على الأمكنة، فيُستفاد من هذه التقنيّات لصالحه، فالذكاء الاصطناعيّ والتكنولوجيا، وما يُفرزه العلم المتطوّر يُسيَّرُ لتطوير البشريّة كما يدّعون.

فهي حلوليّة، ولكنَّ الحلوليّة في نظرية ما بعد الإنسان، تختلف عن الحلوليّات الميتافيزيقيّة، فهي حلوليّة مولودة من رحم العلم، انطلاقاً من «رمزيّة بروميثوس»، رمز أدبيّ إغريقيّ قديم، سارق نور المعرفة للبشر كي يُساعدهم في حياتهم. واليومَ نظريةُ ما بعد الإنسان تجعل من «بروميثوس» رمزاً لها؛ لأنَّ مراميها وغاياتها تتحقّق بالمعرفة، فاستطاع الإنسانُ بالمعرفة الصعود إلى القمر، والوصول إلى الفضاء، وتفكيك بنية المادة وتحويلها إلى طاقة نوويّة هائلة، فضلاً عن المجال المتعلّق بإنتاج المواد متناهية الصغر واستخدامها (نانو تكنولوجيا).

وهكذا تتضافر هذه العلوم؛ كي تمنح الإنسان قدرات فائقة لتسهيل حياته في مناحي الحياة المختلفة، فالعلم يُغيِّر سيرورة الحياة، ويُحدث منعطفات ضخمة في البشريّة، ولعلَّ أكبر التطوّرات في تاريخ الجنس البشريّ، هو ردم الهُوّة بين العضويّ والماديّ والتحامهما مع بعضهما بعضاً؛ ليظهر لنا الكائن السايبورجي، المتحد بين الإنسان والآلة، وهو ما يُسمّونه «ما بعد الإنسان»، وهو جوهر نظريّة ما بعد الإنسان، فمن الحلوليّة الروحانيّة الصوفيّة سابقاً إلى حلوليّة أخرى يدخل فيها شيئين في شيء واحد، فتُساهم في خروج الإنسان من قدراته الطبيعيّة إلى أن يكون إنسانا آخر، وهي حلوليّة ما بعد حداثيّة، إذ يخرج الإنسان بفعلها متجاوزاً طبيعته باتحاده مع التكنولوجيا.

هذا الكائن ليس من ضرب الخيال، وإن بدا كذلك، لكنَّ هذه الفكرة أصبحت تعيش بيننا وتذهلنا، إذ تعجّ دور السينما بها من خلال أعمال تستشرف واقع الإنسان، وأنَّه سيكون في المستقبل على هذه الشاكلة، وسأكتفي بالإشارة إلى فيلم «The Matrix»، وأيضاً أدب الخيال الذي بات يتناول هذه الفكرة من خلال شخصياته، وخير مثال على سبيل الذكر لا الحصر، رواية «أعشقني» لسناء

الشعلان، وهي رواية ذات محتوى ما بعد إنسانيّ، إذ إنَّ الثيمة الأساسيّة لهذه الرواية التطوّر الطبيّ الهائل، وتمثّل ذلك بإجراء عمليّة تُعَدّ نادرة في مجرة درب التبانة، بنقل دماغ من جسد إلى جسد، فأثّر الخيال العلميّ على أحداث الرواية، وظهر ذلك في بنية الأحداث المستعينة بالتِّقنيّات وعالم التكنولوجيا.

ولعل أول فضاء خياليّ يدخله المتلقي في سيرورة الرواية هو الفضاء الزمكاني في مجرة درب التبانة في الألفية الثالثة عام 3010، إذ إنَّ الكاتبة تبني أحداث الرواية في عالم خياليّ مفترض، فتتنامى الأحداث حيث يصبح لكلّ شخص قمر صناعيّ خاص به، أما عن مكان الرواية، فيسري المكان في بعدين: درب التبانة وما يقع عليه من أحداث، والبعد الثاني هو الذكريات والتداعيات للحياة على كوكب الأرض.

وخلاصة ما سبق، أنَّ وجود مثل هذا المُنجَز الأدبيّ الذي يُسلِّط الضوء على عالَم خياليّ، ليس من باب الفانتازيا، وإنما هذا المُنجَزُ الأدبيّ استمدّ وحيه الخياليّ وعالَمه من طروحات العصر الواقعيّة ومواكبته، فرسمت الكاتبة صورة متخيّلة بناءً على هذه الطروحات، على أيّة صورة سيكونها الإنسان؟

وخلاصة ما سبق أنَّ نظرية ما بعد الإنسان نظرية جاءت من فكرة التطوّر التي بدأ بها داروين، لكنَّ داروين انطلق من الخلف، بينما هذه النظرية تجنح في المستقبل، وهي نظرية قابعة في حقل العلم الذي أفرز التِّقنيّات والتكنولوجيا، التي من خلالها سيتّحدّ الإنسان مع هذه التقنيّة التي ستُسهِّل حياته، بحكم أنَّ الإنسان ابن بيئته، وهو ظاهرة قابلة للتطوّر والتغيير، وبناءً على ما نشهده من تطور تكنولوجيّ، على الإنسان أن يتطوّر بالاتحاد معه، فيظهر لنا الإنسان الآلة.

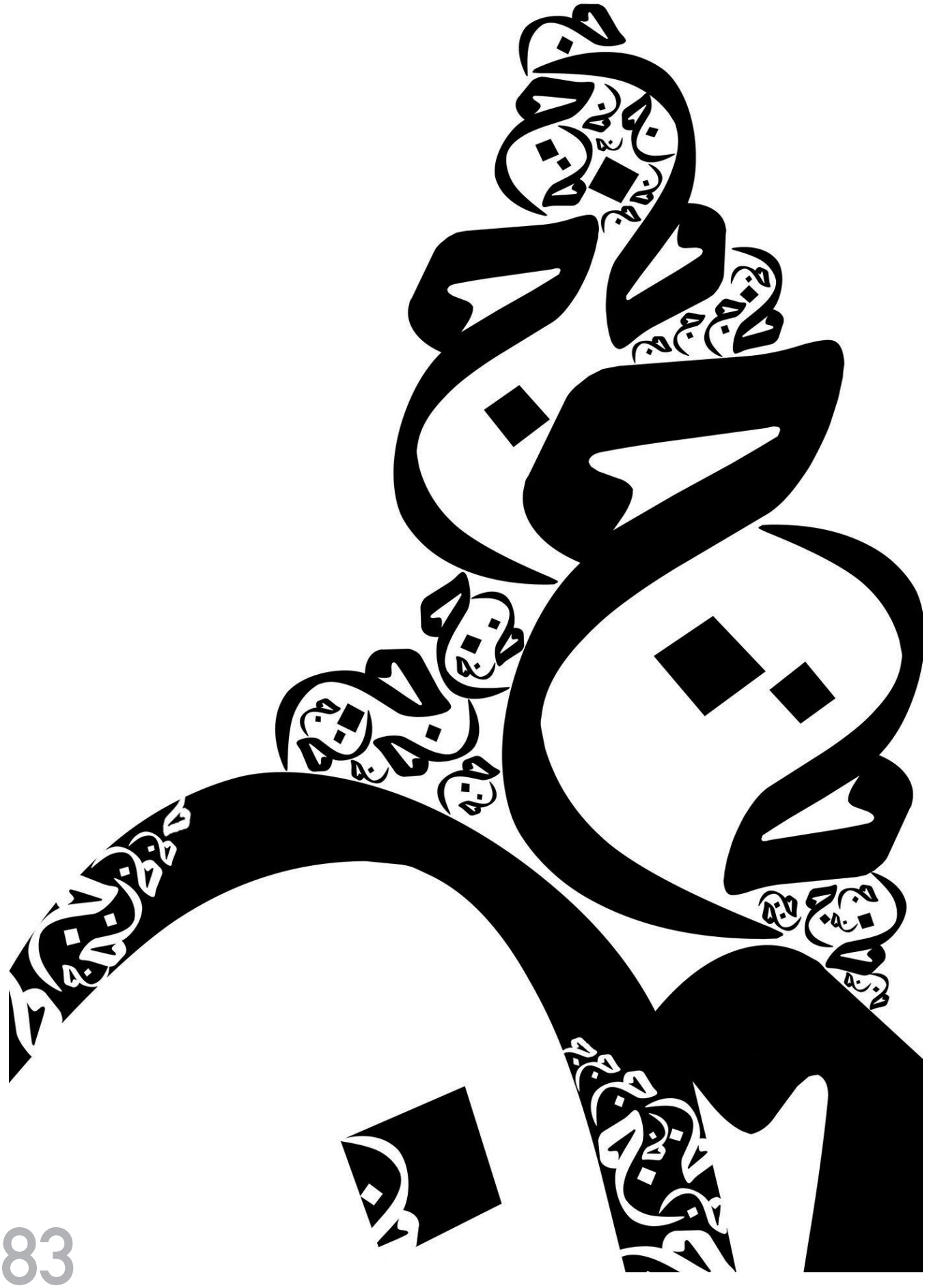

حروفيات الفنان محمد أبو شعر/ سورية

- الثقافة العربيّة في كندا..جهود فرديّة.. إبداعات مبعثرة .....حسام عبد القادر مقبل

الثقافة العربيّة في كندا.. جهود فرديّة.. إبداعات مبعثرة

حسام عبد القادر مقبل

قد يكون من الصعب أن أستعرضَ بشكلٍ كافٍ المثقفين العرب أو النشاط الثقافيّ العربيّ في كندا، فلن يكفيَ مقالٌ بل يحتاج إلى سلسلة مقالات، ولكن سأكتفي هنا بإطلالة سريعة نتيجة بحث متواضع مستمرّ منذ ثلاث سنوات، هي عمري في كندا.

تحدّيات تفرض نفسها

السؤال الذي يفرض نفسه في البداية، هل يوجد مثقّفون عرب في كندا؟ ولنجعل السؤال بصيغة مختلفة قليلاً، هل يوجد مبدعون عرب في كندا؟

الإجابة بكلّ تأكيد نعم، بل مثقّفون ومبدعون على درجة رائعة من التألّق والجمال، فحتى الذين لا ينتجون إبداعاً واضحاً مثل القصة والشعر والفنون بشكل عام، لكنَّهم لديهم وعي وثقافة وعلم وإدراك يجعلهم في الصفوف الأولى من المثقَّفين، ليس في المهجر فقط، بل على مستوى الوطن العربيّ.

ولكن.. وآه من «ولكن».. كالعادة لا توجد مهنة اسمها مثقف أو أديب، فكلّ المثقفين العرب سواء الجيل الأول أو الثاني من المهاجرين هم مهندسون، أطباء، (ولاحظتُ أنَّ هاتين المهنتين بالذات أكثرهم من المبدعين هنا في كندا، ولا أُعمّم بالطبع)، أو عمال في أيّ مجال، يعملون ويكدحون وسط حياة صعبة وظروف قاسية، لديهم فواتير شهريّة والتزامات ماليّة، إضافة إلى قسوة الجو في الشتاء، الذي يستمرّ ثلاثة أرباع السنة، وسط كلّ هذه الالتزامات يكتب إبداعه، ويمكن أن يحضر لقاء أو ندوة هنا أو هناك، يا له من تحدٍّ كبير للمثقّف المهاجر العربيّ!

وإذا تحدّثنا عن المثقّف العربيّ في كندا، فلا بدّ أن نتحدّث عن العرب بشكل عام؛ لأنَّ النظرة إلى الخريطة السكانيّة للعرب وتوزيعهم الجغرافيّ، سوف يجعلنا نستخرج استنتاجات كثيرة وتكوين رؤية أفضل.

المهاجرون العرب في كندا

لن أتحدّث عن تاريخ هجرة العرب إلى كندا، الذي بدأ منذ عام 1901؛ لأنَّ هذا له حديث آخر مستقلّ، ولكن يهمّني أن أركّز على العقود الأخيرة من القرن العشرين ثم بدايات القرن الحادي والعشرين، حيث احتلّ المهاجرون العرب من لبنان المركز الأول في العدد منذ بدايات الهجرة وإلى الآن، واستطاع اللبنانيون أن يحقّقوا إنجازات رائعة في المهجر، ويكون لهم تواجد فعّال في المجتمع الكنديّ من خلال «البيزنس»، خاصة في مجال المطاعم والتصدير والاستيراد.

جاء بعدهم المهاجرون المصريّون، الذين وإن كانوا في المركز الثاني، فإنَّ الفارق العدديّ كبير جداً مع نظرائهم اللبنانيين، ونجح المصريون في تولي مناصب مهنيّة عديدة في المجتمع الكنديّ، خاصة في مجالات الهندسة والطب والصيدلة، وغيرها، ثم جاء المهاجرون المغاربة والجزائريون في المركز الثالث بجدارة، تلاهم العراقيون، ثم الصوماليون والسوريون، والأردنيون والسودانيون، وأخيراً التونسيون، هذه الإحصاءات نقلاً عن بيانات معهد الأبحاث الكنديّ العربيّ، الذي نشره راديو كندا الدوليّ.

لكنَّ الأهمّ من الإحصاءات السابقة وترتيب عدد المهاجرين العرب الذين يقاربون مليون نسمة، حسب آخر إحصاء في 2016، وأظنهم تعدَّوْا مليونين الآن، هو أنَّ العرب لم يتمركزوا في مكان واحد، بل انتشروا في ربوع كندا، حيث يتوزّع ما يقرب من **%**80 من العرب على كلّ من ولاية كيبك وولاية أونتاريو، وحتى داخل كلّ ولاية يتوزّعون على المدن، فمدينة مونتريال بولاية كيبك ومدينة تورنتو بولاية أونتاريو، يتمركز فيهما معظم العرب، ثم تأتي المدن الأخرى والولايات الأخرى بنسب متفاوتة.

الجزر المنعزلة الإجباريّة

هذا التوزيع يُلقي بظلاله بكلّ تأكيد على صعوبة الوضع الثقافيّ المبعثر بين المساحات الشاسعة والمقاطعات المختلفة، وبالتالي تكوّن ما أطلق عليه «الجزر المنعزلة الإجباريّة»، ولكن وسط هذه الجزر المنعزلة هناك مكافحون تمكّنوا من تقديم وجبات ثقافيّة متنوّعة ومختلفة، ولم يستسلموا لظروف الحياة الصعبة والقاسية، أو لبعد المسافات، فكان الإبداع هو الحافز الرئيسيّ لتقديم منتجاتهم الثقافيّة، وهو ما أحاول استعراضه في السطور القادمة.

عدم وجود حركة نقديّة عربيّة في المهجر

مع الأسف لا توجد حركة نقديّة حقيقيّة داخل المهجر تتناول الأعمال الإبداعية التي صدرت داخل كندا، فالنقد يساعد بكلّ تأكيد على رصد الإبداع وتنميته،

وهو عنصر مكمّل للإبداع ولا غنى عنه، وأيّ تناول نقديّ لإبداعات صدرت من مبدعين عرب في كندا، اعتمدت على نقّاد عرب في الوطن العربيّ، اهتمّوا بما يكتبه الأدباء في المهجر.

وبالرغم من أنَّ جمال الطبيعة في كندا صيفاً وشتاءً، حافزٌ كبيرٌ للإبداع في كلّ مجالاته، فإنَّ سيطرة مشاكل المهاجرين وأعباء الحياة تتغلّب أحياناً على هذا الإبداع وتؤثّر عليه سلباً، ويصبح عامل الوقت عنصراً مهماً يعمل ضد الإبداع والمبدع، لذلك نجد معظم المتفرغين للثقافة والأدب في كندا فوق ستين عاماً.

واكتفى كثير من المبدعين بتأثير وسائل التواصل الاجتماعيّ، فأصبحوا ينشرون إبداعاتهم على صفحات الفيس بوك دون اهتمام بنشرها في جريدة أو مجلة مطبوعة أو إلكترونيّة، واعتبروا أنَّ صفحاتهم هي الجريدة الخاصة بهم، فقد يكون عدد متابعيهم أكثر كثيراً من قرّاء جريدة أو موقع إلكترونيّ.

ومن أهمّ الملاحظات التي رصدتُها خلال سنواتي الثلاث في كندا، اعتماد كلّ مبدع أو مثقّف على نفسه، فلا توجد كيانات تذكر، وإن وُجِدت لا تستمرّ، لكن على المستوى الفرديّ ظهر كثير من المبدعين في مجالات مختلفة، فالأديب المصريّ الدكتور أسامة علام، استطاع بجهوده أن يُحقِّقَ انتشاراً جيداً في الوسط الثقافيّ المصريّ، وهو مقيم في كندا، وأن ينشر العديد من الإصدارات الأدبيّة في دور النشر المصريّة.

وكذلك الأديب التونسيّ أنيس بن عمار، والفنانة التشكيليّة السورية رندا حجازي، والفنانة المصريّة رضوى نصر التي أنشأت الأكاديميّة المصريّة للرقص الفولكلوريّ، وتقدّم عروضها من التراث الفولكلوريّ المصريّ في مدينة كاليجاري بمقاطعة ألبرتا، وتجوّلَتْ بعروضها مقاطعات مختلفة في كندا، والفنان التونسي صابر أحمد، والفنان العراقي ستار مصلح، وغيرهم كثيرون استطاعوا فرض وجودهم الثقافي في كندا بجهود فرديّة، دون وجود أيّ تكتّل أو كيان ثقافيّ يدعمهم ويرعاهم.

وغالباً أيّ جماعة أدبيّة تتكوّن، تُنسَبُ إلى بلد عربيّ واحد، سواء مصر أو لبنان أو فلسطين، وغيرها، بينما لا يوجد تجمّع ثقافيّ يضمّ العرب ككلّ، باستثناء مجموعة «أقلام عربية» في مدنية مونتريال، وهي ليست مؤسّسة أو جمعيّة، وقد تكون هذه هي الميزة لديهم، ولكنَّهم مجموعة من المثقفين قرّروا أن يعقدوا اجتماعاً أسبوعيّاً مجرد دردشة، يناقشون فيه أعمالهم أو يستعرضون بعض الأمور الثقافية، وهم مثقفون من عدة دول عربيّة، وأيّ اجتماع يُعَدّ بمثابة جامعة دول عربية مستقلة على المستوى الثقافيّ.

و«أقلام عربية» تطوّرت لجماعة أخرى هي «حكايات عربية»، وتستمرّ الحكايات والأقلام، وتتغيّر بتغيّر الأشخاص على مدار السنوات، لكنَّ استمرار اجتماع «أقلام عربيّة» في حدّ ذاته إنجاز ثقافيّ في المهجر، وإن كانت تعاني أحياناً من عدم الانتظام وعدم مواظبة الأعضاء على الحضور لظروف العمل أو السفر.

ويُحسَبُ لـ«أقلام عربيّة» خروج إصدارات لأعضائها، ومنهم أسامة علام، وأنيس بن عمار، وتمّت مناقشتها خلال الجلسات، وتحوَّلت إلى كتب، سواء شعر أو قصة أو رواية، وهو حصاد رائع، وإن كان يعتمد على إصرار المبدع لإخراج إبداعه في كتاب، بينما آخرون لم يهتموا بإصدار كتب حتى الآن.

منشر غسيل

ويجب ألّا نغفل أيضاً على المستوى الفنّيّ فرقة «منشر غسيل» التي تضمّ فنانين من أربع دول عربيّة، يقدِّمون عروض «استاند آب كوميدي»، ولاقت نجاحاً لافتاً خلال العام الأخير، وأتمنى أن تستمرّ عروضها، وتضمّ: إلياس صدقي من سوريا، وبو علي مبارك من المغرب، وجوني الحاج ورانيا الحلو وساندي البيطار من لبنان، وكريم حمدي من مصر، وهم تجوّلوا في معظم أنحاء كندا، ولاقت عروضهم شعبيّة كبيرة، علماً بأنَّ كلّ فنان منهم له إبداعاته الخاصة به، فبوعلي فنان كاريكاتير وصحفيّ، ورانيا الحلو كاتبة أدب أطفال وممثلة ومؤلّفة مسرح، وكريم حمدي ممثّل وله نشاط فنّي كبير.

وهناك أيضاً بعض الصالونات الشعريّة تُقام بين الوقت والآخر، لكنَّها تعتمد على الفرديّة وعلى انتسابها لدولة محدّدة، مثل صالون «هتاف الشعر الثقافيّ اللبنانيّ»، وهو يخصّ الشاعرة لبنانيّة الأصل هتاف السوقي صادق، وقد تأسّس منذ 2017، ومن اسمه فهو يخصّ أبناء الجالية اللبنانية، وإن كان يرحِّبُ بالطبع بكلّ الجنسيات في حضور أيّ لقاء ثقافيّ وغيرها.

وتمتاز الحياةُ في كندا بوجود كثير من المهرجانات والفعاليّات الثقافيّة المتنوّعة، والمشاركات العربيّة موجودة وبقوة داخل هذه المهرجانات، لكنَّها أيضاً تعتمد على جهود الأشخاص المشاركين وليس على وجود مؤسسات عربيّة قويّة تدعم هذه الأنشطة، فعلى سبيل المثال مهرجان «شرقيات»، وهو مهرجان ضخم يقام كلّ عام، (وإن كان توقّف مدة عامين بسبب فيروس كورونا، وعاد صيف 2022 من جديد)، ويقام في ساحة الميناء القديم بمدينة مونتريال، ويُخصِّصُ خيمةً لكلّ دولة من دول الشرق لتقديم نبذة عن ثقافتها وتاريخها أو حضاراتها، لكن لاحظتُ أنَّ الأجنحة العربيّة تركِّز في هذا المهرجان المهمّ على تقديم رقصات مختلفة تُعبِّرُ عن التراث الشعبيّ، وإن كانت الثقافة لا تنحصر في الرقص فقط، وفي تورنتو أيضاً كثير من المهرجانات الثقافيّة التي يتألّق فيها مبدعون عرب.

حركة النشر العربيّ في كندا

يجب ألّا نغفل أنَّ هناك محاولات جيّدة لدور نشر عربيّة في المهجر، ما زالت في البداية، ولكنَّه مجهود جيّد نأمل أن يستمرّ ويسفر عن إنتاج ثقافيّ جيّد في السنوات القادمة، نذكر منها «دار الدندشي للطباعة والنشر» للسوري جاسم الدندشي، ومؤسسة «ناهد الشوا الثقافيّة»، وناهد الشوا أديبة فلسطينيّة تهتمّ بالكتابة للطفل، وتركِّز في إصداراتها على كتب الأطفال.

كما أسّست أيضاً السورية خلود حدق في تورنتو «دار عشتار للثقافة والفنون»؛ لتقدِّمَ من خلالها موقعاً إلكترونيّاً لبيع الكتب العربية، ودار نشر لإصدار الكتب العربيّة، وقامت المصرية ريهام طعيمة في تورنتو أيضاً بإطلاق دار «طعيمة للنشر»، وبدأت في تنظيم فعاليّات ثقافيّة متنوّعة تخصّ الكتاب العربيّ.

وما زالت التحديات كثيرة وعديدة، لكن طالما هناك محاولات مستمرّة فالأمل موجود، لكن يبقى التحدّي الأكبر هو نقل كلّ هذا الإنتاج الثقافيّ إلى اللغات الإنجليزيّة والفرنسيّة؛ كي يتعرّف علينا الآخرون، ولا نظلّ نتحدّث إلى أنفسنا دون أن يكون هناك مستمع آخر، وإلّا سنظلّ في هذه الجزر المنعزلة، ولن نخرج منها.

«حرثا»: دُرَة حُوران التي يكادُ زيتُها يُضيء .. من فوق هضبتها الفسيحة
ترنو إلى سوريا وفلسطين ولبنان ..... يحيى القيسي

«حرثا»:
دُرَّة حُوران التي يكادُ زيتُها يُضيء...
من فوق هضبتها الفسيحة
ترنو إلى سوريا وفلسطين ولبنان

يحيى القيسي

نُسمّيها «حرتا» بالتاء، وفي الوثائق يكتبونها بالثاء، وما بين الحرفين تتربَّع في وجداننا تلك القرية الوادعة، وهي تشهد طفولتنا بكلّ تفاصيلها.

هي بلا شكّ «دُرَّة حوران» التي تنتصب على أحد أضلاع المُربع الجُغرافيّ الذهبيّ الذي يجمع معاً شمال الأردن مع جنوب سوريا وجنوب لبنان وشمال فلسطين، فإذا تجاوز المرءُ تلك الهضبة الساحرة بسهولها الشاسعة مُيمّماً نحو الشمال، فلا بدّ أن يُطِلَّ على وادي اليرموك، ويرى النهر الأسطوريّ وهو يتلوّى من بعيد غيرَ آبهٍ بجغرافيا سايكس – بيكو التي قَطَّعَت المنطقة إلى أشلاء، وإنّ أصاخ السمع جيداً وصلته قرقعة السيوف، وآهات الجرحى وصرخات المحاربين في تلك المعركة الفاصلة في التاريخ العربيّ الإسلاميّ، حيث غادرت روما بلاد الشام إلى غير رجعة.

في الربيع كان الأهالي ينتشرون في البساتين والجبال باحثين عن الشومر والخرفيش، والعلت والمرّار والزعتر، في ما تنتصب أشجار الزيتون «الروميّ» دائمة الخضرة في كلّ الحقول، وتُحيط بالقرية من كلّ جانب، فإذا جاء موسم القطاف هبَّ الجميع للمساعدة، وحين «العصر» في تلك المعصرة القديمة التي تنتشر رائحة «الجفت» منها، ينتظر الفلاحون رؤية خيط الزيت الذهبيّ وهو يهبط مالئاً التنكات المعدنيّة، وناشراً البهجة في النفوس.

وما يزال الناس يتقاطرون على هذه القرية من جهات عديدة من المملكة؛ لشراء هذا الزيت الفاخر، الذي يُعرَفُ اليوم باسم «زيت الكفارات»، حيث يتميّز بطعمه اللذيذ، ونقاوته الشديدة، وخصوصيّة تُربته.

إنّ القرية قد عُرفت قديماً باسم «آبل الزيت»، فعلى مشارفها من جهة الشرق تقع المدينة الأثريّة الكبيرة «أبيلا»، وهي من مدن الحلف الرومانيّ «الديكابوليس»، وما تزال أنقاضها قائمة إلى اليوم لتشهد على حضارة عريقة كانت تتمركزُ في هذه القرية، التي أخذت اسمها الآرامي «حرثا» من معنى المعسكر كما تشير بعض الدراسات، إذ كانت مركزاً حضرياً مُهماً، فوجود مسرح كبير، وعدة كنائس، وبقايا شارع للأعمدة، ومدافن وكهوف منحوتة في الصخر، تشير إلى أنّ هذه المنطقة الجغرافيّة في شمال الأردن كانت شاهدةً على حضارات عديدة عبر التاريخ، ومنها الهيلينيّة والبيزنطيّة والإسلاميّة وغيرها.

كُنَّا صِغاراً نخطو في الشوارع الطينيّة التي تغمر أقدامنا الغضَّة في الشتاء، وكانت القرية بلا كهرباء حتى منتصف السبعينات تقريباً، ومع ذلك كان بعض الأهالي يملكون تلفازاً يشتغل على البطاريات، والسعيد من استطاع أن يجد له مكاناً قريباً من تلك الشاشة الفضيّة العجيبة، التي كانت تبثّ الأغاني وأفلام الكرتون والأخبار، أما نحن الأطفال حينها، فقد كنّا نتشعبط على الشبابيك ونُطِلّ من بعيد، فنسترق النظر إلى «سميرة توفيق» وهي تغنّي بأجمل الألحان، وتتبادل آهات العشق مع محمود سعيد في مسلسل «فارس ونجود».

أمّا المدرسة الابتدائيّة التي درستُ فيها، فقد تميّزَتْ بحجارتها البازلتيّة وبنائها المعماريّ الفريد، ودائماً أتذكر تلك اللافتة الحجريّة المبنيّة في أعلاها، وهي تشير إلى أنّها بُنيت في عهد الملك عبد الله الأول عام 1921، لهذا ربما تكون هذه المدرسة من أوائل المدارس في المنطقة والأردن عموماً، وللأسف تمّ هدم هذا المَعلم المُهمّ وتحويله إلى بناء حديث بلا روح.

كان بيتنا في الحارة الشرقيّة، وبيت أخوالي العمريّة في الحارة الغربيّة، والحارتان هما ما كان يُشكِّل القرية قبل أن تتوسّع، وغالباً ما كنتُ أمضي هناك مع أمي أو مع رفاقي الصغار، ونصل إلى حافة القرية من الغرب، وتدهشنا بقايا المَضافة الحجريّة للشيخ قويدر عبيدات، التي بُنيت في عام 1915، (تمّ ترميمها مؤخراً)، وهي التي شهدت زيارات عديدة للملك عبد الله الأول، ولبعض المجاهدين السوريين، مثل سلطان باشا الأطرش، ولقيادات وطنيّة أردنيّة في تلك المرحلة المبكّرة الحافلة بالتغيّرات.

وإذا صعدتُ شجرة «الزنزلخت» التي في حوش بيتنا، ونظرتُ إلى الشمال، رأيتُ «جبل الشيخ» ينتصبُ شامخاً بثلوجه صيفاً وشتاءً، في ما هضبة الجولان وقرى سوريا تظهر من بعيد، وكان أبي قد افتتح في بداية الأربعينيّات أوّل بقالة «دكانة» في

القرية، كان يذهب أحياناً إلى درعا بالقطار الذي يمرّ من محطة الشريعة «نهر اليرموك»؛ ليشتريَ الدِّبَس والملابس والصابون والحلويات، وبعض ما يحتاجه الأهالي.

على مشارف الستين تبدو لي «حرثا» بهيّةً في كلّ تقلّباتها وما طرأ عليها من جديد، وما زلتُ ذلك الطفل الغضّ الذي شدّته رائحة الزيت المغموس بالزعتر، وخبز الطابون الخارج للتوّ من الفرن الطينيّ، وصوت خالي الشجيّ، وهو يؤذّن لصلاة الفجر فيوقظ كلَّ الحنين.

لوحة الفنان: رسمي الجراح/ الأردن

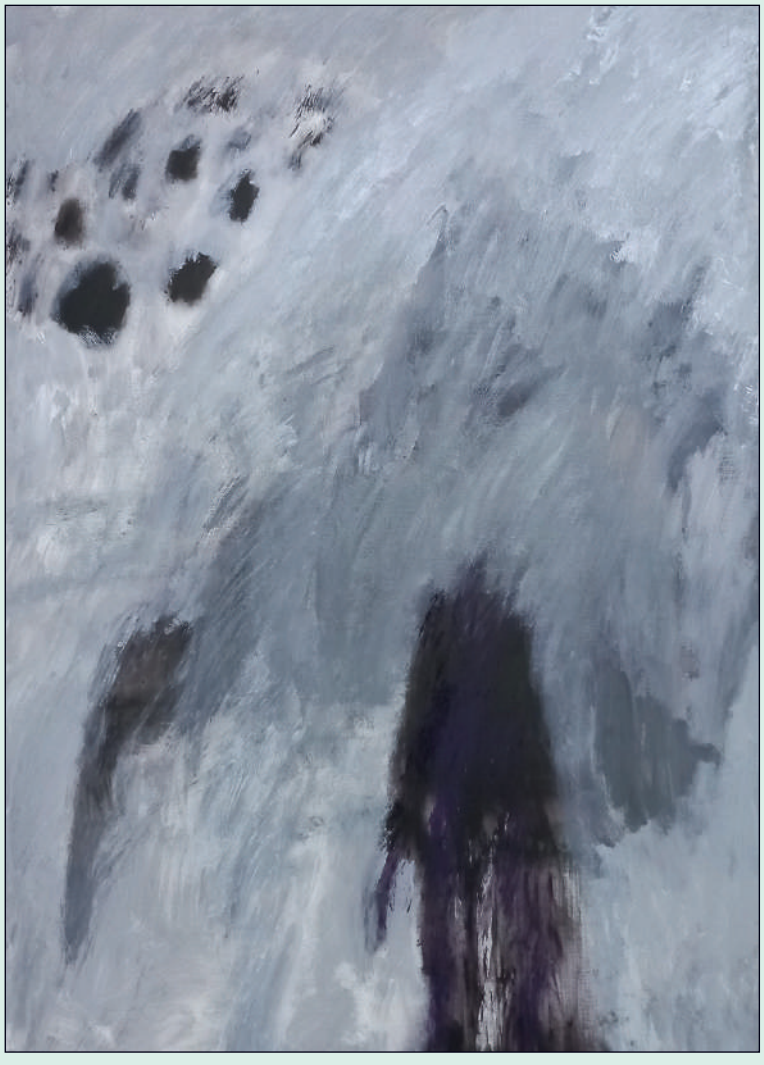

لوحة الفنان: خيري حرز الله/ الأردن

وزارة الثقافة

مطبعة المركز الحرفي الأردني للطباعة الفنية

صوت الجيل

العدد 8 من الإصدار الجديد 2022

مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي تصدرها وزارة الثقافة الأردنية

اربد 2022 العاصمة العربية للثقافة